جحيم العابرين
أسماء المسلم

عبورٌ عابر

طريق إسفلتي طويل تشبعت شقوقه بـ... بباردة طُمس نور قمرها بكتلة كثيفة من الغيوم السوداء. زاد من ظلمة الطريق ووحشته أشجار متراصة طويلة ممتدة على جانبيه لكن ذلك لم يمنع الشرطي الواقف على أحد جوانبه من تشغيل صفارة الإنذار وتعقب سيارة سوداء ذات نوافذ معتمة ومنزوعة اللوحات التعريفية عبرت بجانبه بسرعة خاطفة. بعد مطاردة قصيرة هدأت السيارة من سرعتها وتوقفت على يسار الطريق وهذا بحد ذاته مخالفة مرورية تستوجب العقاب مما أثار استغراب الشرطي الذي ترجل من سيارته مشعلاً كشافاً صغيراً ثبته على كتفه مخرجاً سلاحه متأهباً لأي مفاجأة من سائقها الذي بدا له غير متزن وقد يكون مجرماً هارباً أو مخموراً أو معتلاً نفسياً.

وقف الشرطي بجانب باب السائق وبسبب النوافذ السوداء لم يتمكن من رؤية قائد المركبة أو أي تفاصيل داخلها مما اضطره للطرق برأس مسدسه زجاجة النافذة وهو يقول بنبرة صارمة : «أنزل النافذة لو سمحت!»

لم يتلقَّ الشرطي إجابة أو استجابة من السائق عدا إطفائه لمحرك السيارة ومصابيحها مما زاد من عتمة المكان حولهم ولم يتبقَّ أي مصدر للضوء سوى مصابيح الدورية المشتعلة بالخلف. استاء الشرطي من تلك الفعلة مما دفعه لتكرار ندائه مجدداً بصرامة أقوى وهو شاهرٌ سلاحه: «أنزل النافذة!»

بعد مضي ما يقارب نصف الدقيقة من الترقب تحت المطر المنهمر دون أي استجابة من السائق فقد الشرطي صبره وصرخ مهدداً وآمراً السائق بالترجل من السيارة على الفور.

صوت طنين نزول جزء من النافذة خلال استمرار انهمار المطر بقوة..

توتر الشرطي وصل لذروته وقتها لأن وجوده في تلك المنطقة النائية على الطريق السريع لم يكن مصادفة فقد توالت على مر الأشهر السابقة عدة بلاغات عن اختفاء أناس في المنطقة نفسها ناهيك عن عدد من السيارات التي وجدوها خاوية وأصحابها مفقودون دون دليل لمكان اختفائهم مما دفع مركز شرطة المدينة لتعيين دورية لتراقب تلك الجزء من الخط السريع بشكل دوري علهم يجدون دليلاً على حوادث الاختفاء لتيقنهم بأن الفاعل يتردد هناك من وقت لآخر بحثاً عن الضحايا.

«ترجل من السيارة بأيد مرفوعة!» ..

قالها الشرطي المرتبك ومسدسه موجه على الفتحة الضيقة في نافذة الباب ..

لم تصدر أي ردة فعل من السائق المتواري في ظلمة السيارة بالرغم من توجيه الشرطي ضوء الكشاف على النافذة بشكل مباشر فقرر أخيرًا مد يده ومحاولة فتح الباب بنفسه وعندما أمسك المقبض وأبعد درفته لأقصاها تفاجأ بأن مقعد السائق فارغ فأمسك مسدسه بكلتا يديه بسرعة وتوتر وهو يجول بنظره على المقاعد الأمامية بحيرة شديدة.

دخل الشرطي في صراع نفسي بين خيار استكشاف المقاعد الخلفية بنفسه ووحده أو العودة لسيارته وطلب الدعم من دورية أخرى والمخاطرة بهروب من قد يكون المجرم الذي يبحثون عنه خاصة وأنه لم يتمكن من معرفة سوى لون السيارة ونوعها فقط بسبب غياب اللوحات التعريفية.

اتخذ الشرطي قراره في نهاية الأمر بأن يقوم بتفتيش السيارة بالكامل بنفسه وأخبره حدسه بأن السائق قد تسلل واختبأ في المقعد الخلفي ليباغته لذا وقبل أن يتقدم أكثر قام بفتح الأبواب الأربعة بالكامل

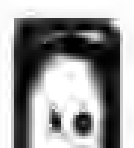

وكانت الصدمة أنه لم يجد أحداً بداخلها لكن رائحة عفنة تسربت للخارج وأزكمت أنفه مما زاد من توتره ورهبته.

مد الشرطي يده بعدما دخل من المقعد الخلفي وفتح صندوق السيارة فقفز غطاؤها وقطرات المطر الثقيلة ترطم على سطحه بقوة ثم ترجل منها وسار نحو الصندوق شبه المفتوح بخطوات حذرة وفتحه ببطء لتصدمه رائحة أقوى وأشد حدة كاشفة عن كيس بلاستيكي أبيض بأطراف حمراء.

كان من الواضح أن ما رآه الشرطي أمامه جريمة مكتملة الأركان وأنه غالباً قد أوقع بالمجرم قبل هروبه بفعلته الجديدة فجرى مسرعاً وركب سيارته ورفع جهاز النداء وقبل أن يقوم بالتبليغ شعر بمجموعة من الرؤوس الحادة تغرس في رقبته من الخلف وتخترقها ليفور دمه على الزجاج الأمامي [illegible] بالكامل لمدة ثوانٍ قبل أن تترقق [illegible]

رفيق على الطريق

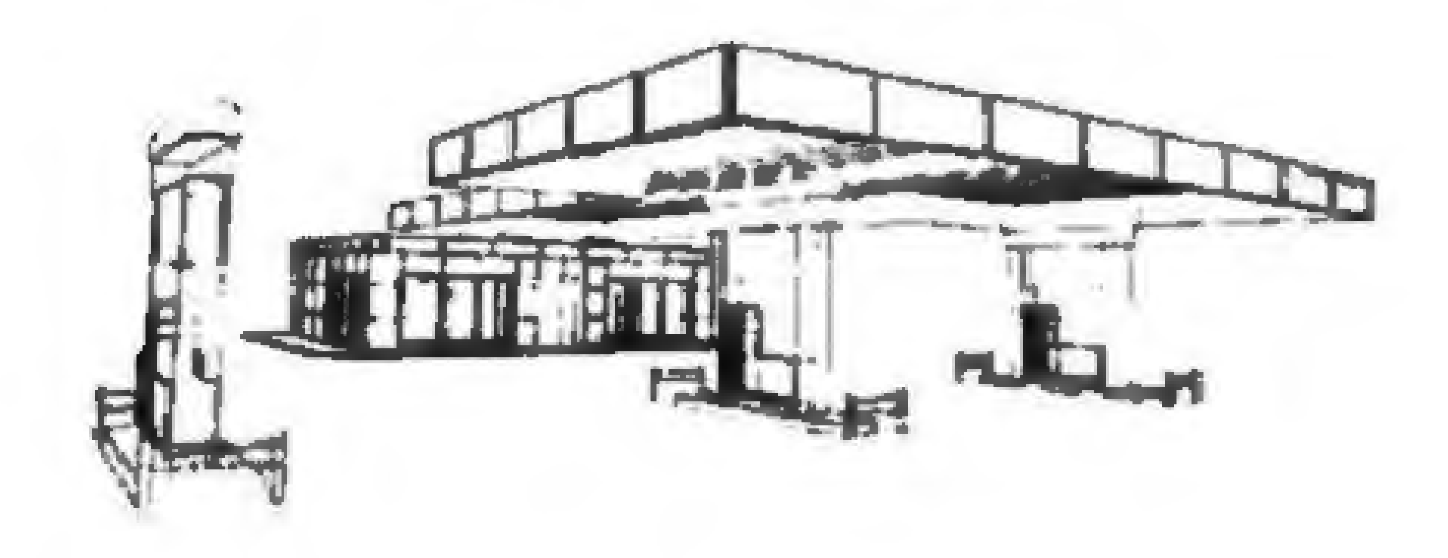

أضواء مصابيح ساطعة تنعكس من على سطح إسفلتي مبلل جراء
رمي سحابة ماطرة بحمولتها عليه قبل عدة ساعات ..
امرأة في أواخر العشرين من عمرها تقود سيارتها وحدها قبل
منتصف الليل بساعة وسط غابة كبيرة وكثيفة شقها طريق معهد
غير مزدحم لقلة سالكيه ..

بالرغم من الأجواء المظلمة والساكنة المحيطة بالمرأة كما أحاطت
تلك الأشجار بأطراف الطريق إلا أنها كانت ممن يستمتعون بمثل
هذه الطرق المعزولة خاصة ليلاً وتقضي وقتها تنصت للمذياع

وتتناول بعض القهوة الساخنة التي أعدتها قبل بدأ رحلتها وتسكب بعضها من وقت لآخر في كوب ورقي صغير.

خلال إدارة المرأة لقابس المذياع بحثاً عن محطة إذاعية حوارية بعد اكتفائها من سماع الفترات الغنائية لمحت في الأفق المعتم أنواراً صفراء صغيرة تضيء بشكل متكرر لسيارة متوقفة على جانب الطريق فرمت بكوب قهوتها من النافذة مغلقة جميع النوافذ والأبواب بإحكام ومع اقترابها اتضحت معالم سائقها وهو يجلس على مقدمتها يتفحص هاتفه للحصول ولعلمها المسبق بأن هذه المنطقة من الطريق لا تصلها تغطية الهاتف توقفت عنده وأنزلت جزءًا يسيرًا من نافذة باب الراكب بجانبها وخاطبته قائلة: «ما المشكلة..؟!»

التفت صاحب السيارة نحوها وقال يائساً:

«لم أعتقد أن أحداً سيتوقف لي في هذه المنطقة النائية لمساعدتي..»

- أنا لم أقرر مساعدتك بعد..

وجه الرجل الذي كان في منتصف الأربعينيات من العمر تقريباً وجهه أمامه وقال:

«لا بأس أتفهم حذرك.. سأنتظر دوري..»

- وكيف تنوي ذلك؟

رفع الرجل هاتفه للأعلى قائلاً: عندما أتمكن من الحصول على تغطية خلوية سأتصل بسيارة لتقلني

- ما نوع العطل الذي تعاني منه سيارتك؟

أدار الرجل نظره تجاه سيارته ثم قال: في الحقيقة السيارة سليمة لكن الوقود نفد منها

- إهمال غريب منك.. كان هناك محطة للوقود قبل مسافة ليست بالبعيدة ورائنا

زفر الرجل نفساً منزلاً رأسه: لقد توقفت عندها بالفعل لأتزود بالوقود لكنني اضطررت للهرب بسرعة

- الهرب؟.. قالتها المرأة متعجبة

- نعم.. إنها قصة طويلة..

تفكرت المرأة ملياً بطريقة لمساعدته وكان من الواضح أنها مترددة في أن تقل شخصاً غريباً معها فلاحظ الرجل صمتها بوجه متفكر يحدق به فقال:

«أعرف ما يدور في عقلك وأنا لا ألومك لكن أنا بحاجة ماسة للمساعدة..»

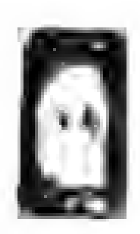

- أقصى ما يمكنني أن أقدمه لك هو الاتصال على الشرطة عندما أصل للمحطة القادمة ليأتوا لمساعدتك لأني لا أملك هاتفاً محمولاً معي وعدا ذلك فأعتذر

أشار الرجل بيده القابضة على هاتفه لمؤخرة سيارتها وقال: لمَ لا تضعيني هناك..

- تقصد الصندوق؟

- نعم.. ولن أمانع فأنا فقط أريد أن أصل للمحطة القادمة للتزود بالوقود وبهذه الطريقة ستكونين بمأمن من أي خطر مني

- «لا أعرف..» .. قالتها بتوجس وتردد

- أرجوكِ.. أنا هنا منذ ساعات وبدأت أشعر بالخوف

- سأكون صريحة معك.. إيصال شخص مجهول وخاصة في هذا المكان المقطوع مخاطرة لم أعتدها

- حسناً أتفهم ذلك.. شكراً على أي حال

أحست المرأة بالذنب وقالت: وماذا تنوي أن تفعل؟

- سأنتظر بزوغ الفجر ثم سأبدأ بالسير حتى أصل للمحطة

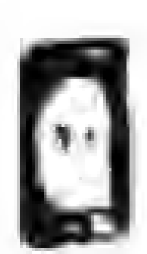

ضغطت المرأة على زر فتح صندوق السيارة وقالت:

«اركب وأغلق الصندوق خلفك وأتمنى ألا أندم على ما سأقوم به..»

تبسم الرجل ويبدأ بالسير خلف السيارة وهو يقول: لا أحد يندم على فعل الخير

قبضت المرأة على مقود السيارة وهي تتابع الرجل من مرآتها العلوية وقالت محدثة نفسها:

«بل أغلب من يقدم الخير يندم لاحقاً..»

استلقى الرجل وأغلق الغطاء خلفه وبعد ما تحققت المرأة من أن الصندوق قد أغلق تماماً من خلال تفحص نور التنبيه على لوحة التحكم تحركت وأكملت سيرها.

أمضى الرجل قرابة نصف الساعة قبل أن يحس بتوقف السيارة بالكامل مما قاده للشعور بالريبة لأنه يعرف أن أقرب محطة وقود تبعد أكثر من ذلك فبقي مكانه محاولاً الإنصات لأي صوت أو حركة أخرى عقب توقف السيارة فسمع صوت فتح باب السائق وإغلاقه وخطوات تقترب منه وتتوقف عند مقدمة الصندوق.

فُتح صندوق السيارة ليشاهد الرجل المرأة تقف عنده قائلة:

«اخرج ..»

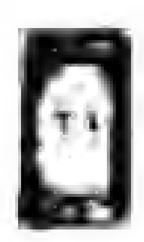

جلس الرجل وهم بالخروج من الصندوق قائلاً: هل غيرت رأيك؟

أشارت المرأة لنهاية الطريق وقالت: لا.. هم غيروا رأيي

وجه الرجل نظره حيث كانت تشير المرأة وشاهد دوريتين للشرطة وأنوارها الزرقاء والحمراء تلف وتدور بتعاقب.

تعجب الرجل وقال: لا أفهم.. ما الذي يحدث؟

سارت المرأة عائدة لمقعد السائق وهي تقول: هيا تعال واركب بجانبي وكن طبيعياً..

ركب الرجل وربط حزام الأمان ونظره لنقطة التفتيش البعيدة وقال:

«هل ستشرحين لي ما الأمر؟»

ربطت المرأة حزامها وأدارت المحرك مرة أخرى قائلة:

«هناك احتمال أن يقوم أفراد تلك الدوريات بتفتيش السيارة ووقتها ماذا سأقول لهم لو وجدوك في صندوق سيارتي؟»

- سأشرح لهم ما حدث ببساطة

- لن أجازف باتهامهم لي بخطفك.. ما اسمك بالمناسبة لو اضطررنا للتعريف بأنفسنا.. أنا (بشرى).. وأنت؟

- اسمكِ غريب ومميز. أنا (عاصم). اسم اعتيادي جداً بالمقارنة مع اسمكِ

(يمنى) مبتسمة وهي تقود سيارتها مقتربة من نقطة التفتيش:

«جدي هو من سماني بهذا الاسم..»

اعتدل (عاصم) في جلسته عندما شاهد الشرطي يرفع كفه في إشارة لها بالتوقف وقال:

«أنا أمي هي من أصرت على هذا الاسم ولا أعرف لماذا؟»

طرق الشرطي بمفصل سبابته على سطح النافذة فأنزلتها (يمنى) وتبسمت له قائلة:

«صباح الخير..»

نظر الشرطي لساعته ثم قال: لم نتجاوز منتصف الليل بعد.. ناولني الرخص

(عاصم) ضاحكاً بتوتر: مساء الخير إذاً!

مدت (يمنى) الرخص وبعد ما تفحصها الشرطي قال: «أريد أوراقكما الثبوتية أيضاً..»

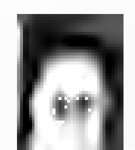

(يمنى) باسمة وبنبرة هادئة: لماذا هل هناك مشكلة؟

- ناوليها لي بدون جدال لو سمحتِ

أخرج الاثنان هوياتهما الشخصية من محافظهما ومداها للشرطي الذي قال وهو يتحقق من مطابقة صورهما: إلى أين أنتما ذاهبان؟

همت (يمنى) بالإجابة لكن (عاصم) سبقها وقال: إلى المحطة!

- للمحطة؟.. أتحدث عن وجهتكما النهائية

(يمنى): إلى مدينة ((الرفرع))

- رحلتكما طويلة.. هل معكما أي حقائب؟

(عاصم): فقط واحدة سوداء صغيرة شاهدتها عندما كنت بالخلف

نظر الشرطي لوجه (عاصم) ثم لوجه (يمنى) ولم يشعر بالارتياح من طريقة حديثهما معه فقال وهو يهم بالسير لمؤخرة السيارة: افتح الصندوق..

تعلقت (يمنى) لمره ونظرها المتعجب والمحتقن لـ (عاصم) الذي قال مستغرباً: ما بك؟

فتش الشرطي الصندوق وحاول فتح الشنطة السوداء لكنها كانت

مقفلة فعاد إليها وقال:

«ماذا يوجد في الشنطة؟»

(يمنى): ملابسي فقط وبعضُ حاجياتي.. هل تريد مني فتحها؟

نظر الشرطي في عينيها متفكراً لعدة ثوانٍ وهو يطرق البطاقتين على ظفر إبهامه ثم مدها لها قائلاً: «لا.. رافقتكما السلامة..»

حركت (يمنى) السيارة وكان واضحاً على وجهها الاستياء وبعد فترة من الصمت تحدث معها (عاصم) : «هل تريدين مني العودة للصندوق؟»

(يمنى) بتجهم ونظرها للأمام:

«أريد فقط أن تصمت حتى نصل للمحطة وينتهي الأمر.. يكفي ما فعلته!»

(عاصم): ماذا فعلت؟!

(يمنى) بعصبية: أطبق فمك فقط!

(عاصم) باستغراب واستياء: حسناً..

بعد سير قصير أخرج (عاصم) من جيبه ولاعة وعلبة سجائر

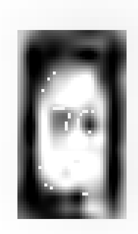

ووضع إحداها في فمه وهم بإشعالها لكن (يمنى) التفتت نحوه
قائلة: ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

(عاصم) والسيجارة تتدلى من شفتيه: سأشعل سيجارة. هل ترغبين بواحدة؟

(يمنى) بتجهم: أعدها لجيبك قبل أن أرميك معها خارج سيارتي!

(عاصم) معيداً الولاعة وعلبة السجائر لجيبه: حسناً.. حسناً!.. لا داعي للعصبية

بعد أقل من ساعة ظهرت أنوار المحطة في الأفق البعيد وبعد ما توقفت (يمنى) أشارت لعامل المحطة بتعبئة سيارتها بالوقود بينما ترجل (عاصم) منها وشكرها على إيصاله لكنها لم ترد أو حتى تلتفت إليه وبقيت متجهمة تمعن النظر بمحل للبقالة كان أمامها.

(عاصم) ملوحاً بكفه مبتعداً: «إلى اللقاء إذاً.. أو وداعاً.. أو.. لا أعرف..!»

وراقبت (يمنى) الرجل من مرآتها وهو يتحدث مع عامل المحطة وبعد حديث بسيط أخرج له العامل ما يشبه الجالون المخصص لتخزين البنزين قام بتعبئته له بالكامل ثم حاسبه عليه. سار بعدها

(عاصم) عائداً بالاتجاه المعاكس للطريق الذي أتيا منه

أوقفت (يُمنى) سيارتها بعد ما تزودت بالوقود أمام بقالة المحطة الذي علق فوقها لافتة ضوئية كبيرة حمراء كتب عليها «٢٤ ساعة» وتبضعت فيه لما يقارب الدقائق العشر اشترت خلالها بعض الأطعمة والحاجيات وعند خروجها لمحت (عاصم) واقفاً على قارعة الطريق لا يزال ينتظر من يقله لسيارته. ركبت سيارتها وفتحت علبة من المكسرات وتناولت بعضَها وعينها على المرآة العاكسة تراقب (عاصم) وقالت محدثة نفسها :

«هل يظن أنه سيجد سيارة في مثل هذه الساعة؟ .. الأجدر به أن يعود مشياً إلى حيث وجدته»

لم ترحل (يمنى) مباشرة من المحطة وبقيت تتناول بعضَ الأطعمة التي اشترتها في السيارة وهي مستمرة بمراقبة (عاصم) حتى سئم من الوقوف وحمل جالون الوقود وبدأ يسير على أقدامه عائداً لسيارته.

في تلك اللحظة تحركت (يمنى) وأدارت محرك سيارتها وسارت خلفه بسرعة بطيئة حتى انتبه وأدار نظره للوراء ورفع إبهامه ظنًّا منه أنها سيارة عابرة لكن عند وقوفها بجانبه وإنزالها لنافذتها تبسم وقال: أنت؟

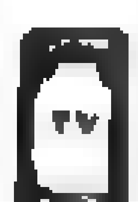

(يمنى): هل قررت العودة لسيارتك مشياً؟

(عاصم) موجهاً نظره للأفق المظلم:

«لا خيار آخر أمامي .. لقد نفدت بطارية هاتفي وجهاز الشحن في سيارتي ..»

(يمنى) : هيا اركب .. لن أتركك تقطع كل تلك المسافة الطويلة وحدك في هذا الوقت من الليل

(عاصم) : لا، شكراً .. سأكون بخير

(يمنى) : أنا لن أكون بخير وسوف يأكلني الذنب وتأنيب الضمير وسألوم نفسي لو سمعت خبر اختفائك في نشرة الأخبار

(عاصم) : لا رغبة لي بأن أحبس في الصندوق مع جالون البنزين

(يمنى) ضاحكة وهي توقف السيارة وتفتح الصندوق :

«لا لا لقد تجاوزنا تلك المرحلة .. فقط الجالون هو من سيجلس في الوراء»

تبسم (عاصم) ووضع جالون الوقود في صندوق السيارة وثب جنباً ثم ركب رابطاً حزامه قائلاً : شكراً ..

(يمنى) : العفو لم أكن سأقوم بذلك لو لم أشعر بأنك شخص يستحق الثقة

(عاصم) : أنا ممتن لعودتك لي بلا شك لكن في الحقيقة تصرفكِ مخاطرة

(يمنى) : ماذا تقصد؟

(عاصم) : أقصد أني لا أرى أي سبب لتثقي بي فقد أكون مجرماً بالفعل وأنتظر الفرصة فقط للغدر بكِ

(يمنى) : ممكن لكن لا أظن

(عاصم) : ومن أين أتيتِ بتلك القناعة؟

(يمنى) : ليست قناعة بل حدس .. وحدسي لا يخيب غالباً .. لكن دعني أسألك أنا .. لمَ تثق أنت بي وتركب معي؟ .. أليس هناك احتمال أن أكون أنا قاتلة مجرمة أتصيد الناس؟

(عاصم) ضاحكاً : لا أستبعد ذلك بعد وضعك لي في صندوق السيارة!

(يمنى) تشاركه الضحك : كانت تلك فكرتك أنت وليست فكرتي أيها السفاح!

مد (عاصم) يده نحو المذياع وشغله مديراً زر البحث مقلباً بين المحطات محدثاً صوت تشويش مرتفع ومتقطع

(يمنى) يانزعاج : ماذا تفعل؟!

(عاصم) وهو مستمر بتقليب موجات المذياع :

«برنامجي الأسبوعي المفضل بدأ منذ ساعة وأنا لم أفوت حلقة واحدة منه من قبل ...»

(يمنى) وهي تراقبه يبحث عن المحطة الإذاعية بتهكم : أي برنامج هذا الذي أثار حماسك هكذا؟

(عاصم) معتدلاً في جلسته باسماً بعد ما وجد تردد القناة : اسمعي معي وستعرفين ..

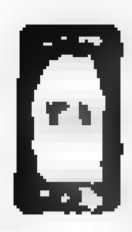

هذا ما حدث معهم

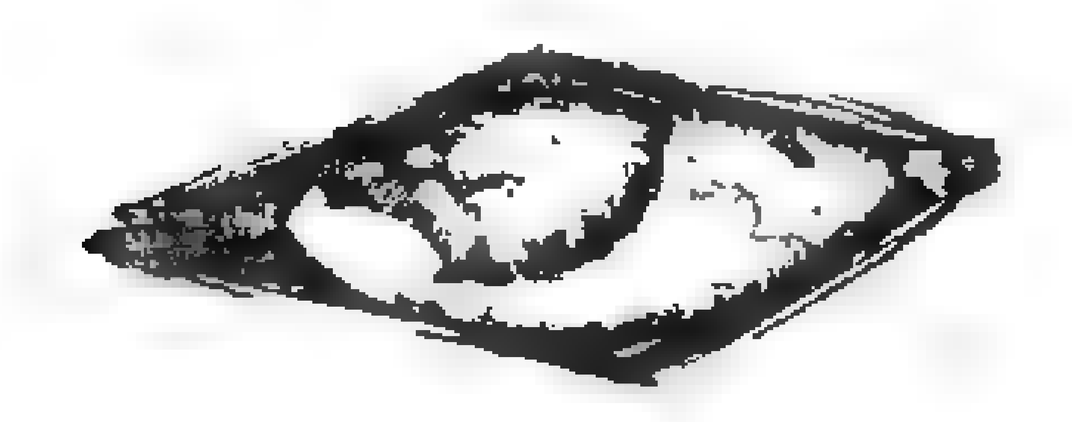

أنصت الاثنان لمنتصف حوار بين مذيع وأحد

المتصلين على برنامجه ..

(المذيع) : ما أخبرتني به للتو يمكن أن يحدث فلا تجزع وتقبل الأمر

ثم بعد ذلك حاول نسيانه

(المتصل) : اعذرني لكن لا يمكن لعقلي تقبل ذلك .. لا بد وأني

كنت أتوهم .. أرجوك أخبرني بأني كنت أتوهم .. هذه خوارق

للطبيعة ومن المستحيل أن تكون واقعاً

(المذيع) : خارقة للطبيعة الآن فقط ..

(المتصل) : ماذا تقصد؟

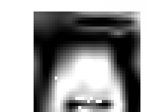

(المذيع) : الطيران على سبيل المثل كان ينظر له في الماضي على أنه من خوارق الطبيعة ومن المستحيلات .. هل أنا وأنت نراه كذلك اليوم؟

(المتصل) : الأمر مختلف ..

(المذيع) : عقولنا هي التي تختلف لكن الحقيقة ثابتة ..

(المتصل) : وما هي تلك الحقيقة؟

(المذيع) : أننا لا نعرف الكثير عما يدور حولنا .. شكراً لاتصالك .. لنأخذ اتصالاً آخر

- هل صوتي مسموع؟

(المذيع) : نعم تفضل عرفنا بنفسك لو رغبت ..

- أنا .. أنا (مراد) .. أنا متابع للبرنامج منذ بدايته ولم أفوت حلقة واحدة ..

(المذيع) : ممنون لثقتك يا (مراد) لكن هل هذا علاقة بالقصة التي تنوي مشاركتها معنا؟

(مراد) : لا أعرف ربما .. لم أفكر قط بالمشاركة لكن أحتاج الحديث عما رأيته مع أحد

(المذيع) : تفضل .. نحن منصتون

(مراد) : قبل عدة أعوام بدأت أتعلم القيادة كي أحصل على الرخصة مثل أقراني لكني كنت أواجه مشكلة .. كنت أشعر بالارتباك الشديد عندما أقود وأبي يجلس بجانبي لتوجيهي بملاحظاته المتكررة بنبرة غاضبة مما يشتتني كثيراً ويفقدني السيطرة على الأمور وأرتكب أخطاء كثيرة تجعله ساخطاً عليّ بالرغم من أن قيادتي في غيابه تكون مثالية جداً والدليل أني تمكنت من التعلم في وقت قياسي بمعاونة أحد أصدقائي وقمت باستعارة سيارته لتجاوز جميع اختبارات القيادة واستخرجت الرخصة دون أي مشكلة تذكر لكن المعضلة الوحيدة المتبقية لي كانت هي أن أبي لم يكن مقتنعاً بقدرتي على تحمل المسؤولية ومهارتي في القيادة

(المذيع) : بما أنك حصلت على الرخصة فما حاجتك لإقناع أبيك بأنك تجيد القيادة؟

(مراد) : وماذا سأقود؟ .. لم أكن أملك سيارة خاصة بي وهو من سيشتريها لي لكنه لم يكن ليقوم بذلك دون أن يقتنع

(المذيع) : فهمت .. أفترض الآن أنك سوف تخبرنا عن سبب اتصالك

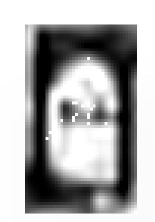

(مرفا): نعم .. بعد عدة محاولات تمكنت من إقناع أبي بأن يسمح
فرصة لمسيرة لأنه قدّر قدراتي وإجادتي القيادة شريطة أن يشتري لي
سيارة لو كان راضياً عن أدائي فوافق على مضض ولأنه خشي
من الحوادث التي كنا نتعرض لها بسبب توتري معه قرر أن نجرب
الطريق بعيداً خالياً من أي ازدحام .. طريق صحراوي تنبه
على جنود مدهشة عبر الناس بعد ما أنشئ خط موازٍ له اختصر
المسافة لكنه لم يُلغَ وبقيت بعض شاحنات نقل البضائع تستخدمه.

(المتبع): وهل كان أخاك يومها مقتنعاً له؟

(مرفا): بل بحرية وكان سعيداً جداً وبدأنا نتحدث عن أنواع
السيارات التي أرغب في اقتنائها

(المذيع): جميل .. لكن أين المشكلة إذاً؟

(مرفا): بالطبع كنت أعرف وقتها أني لو ارتكبت أي خطأ مهما
كان بسيطاً سوف يهدم كل ما حققته مع أبي ذلك اليوم ولا أخفي
عليك أني كنت أريد إنهاء الرحلة بسرعة قبل حدوث هذا فأبي سهل
الاستفزاز ويفقد أعصابه بسرعة وتنهي. مثل ضغط الكوابح بقوة
لم يتم حقه لاقترحت عليه أن نعود أدراجنا وننهي يومنا الحلو
والتي لكنه طلب مني قبلها الخروج من الطريق المعبد والتجوّل

فوق كثبان الرمال قليلاً خاصة أن سيارتك كانت ذات دفع رباعي ويبدو أنه اشتاق لمغامراته السابقة عندما كان يمارس هوايته المحببة بالقيادة في الصحراء فعلت.

(الملهم): كم كانت الساعة وقتها؟

(مراد): نهاية العصر تقريباً .. أذكر ذلك جيداً لأن أبي قال بأنه يريد منا أن نصلي المغرب فوق أحد الكثبان قبل أن نعود للمنزل

(الملهم): فهمت أكمل ..

(مراد): القيادة على الكثبان الرملية نادراً ما توقعك في الخطأ إلا إذا علقت سيارتك بالرمال وكان هذا هو همي الوحيد .. ولو حدثت ورطة فعل أبي يمكن توقعها بسهولة لذا كنت أتجنب المخاطرة بالتهور والاندفاع تفادياً لحدوث ذلك .. لكن .. حدث أمر لم يكن في الحسبان ..

(الملهم): ماذا حدث؟

(مراد): للوهلة الأولى ظننت أني أتوهم لكنه تحول ليقين عندما رأيته أكثر من مرة يمر من خلال مرآتي الجانبية .. رجل .. أو شيء يشبه الرجل .. يجري خلفنا مهرولاً .. يجري بسرعة غير بشرية ..

ومهما زدت من سرعتي كان يلحق بنا محافظاً على المسافة بيننا وبينه

وهي عدة أمتار من مؤخرة السيارة .. شعرت بالذعر .. اعتقدت أ

نه رفيق طريق في البداية لكن سرعته غير الطبيعية بددت هذا الشك

خاصة عندما زاد من وتيرة جريه ليصل عند بابي ويجري بجانبي

دون أن يلتفت إليّ وكأنه يسابقني

(الشيخ): هل يمكن أن تصفه لي؟

(مراد): رجلٌ عاديٌّ بملابس بيضاء يربط رأسه بلفافة حمراء .

ذكرني بالرعاة الذين نشاهدهم في الصحراء لكن ما جعله غير

طبيعي هنا سرعته الخارقة هو لون بشرته .. كانت مائلة للزرقة

(الشيخ): تقصد كان أسمر البشرة؟

(مراد): لا لا .. أزرق .. أغمق درجة من درجات اللون الأزرق

يمكنك تصور ما لك كان أزرق بلا شك

(الشيخ): ألم ينتبه لك؟

(مراد): لا .. وكنت حريصاً ألا أنظر له لتوتري وجزعي مما حدث

كي لا أعطه انطباع الارتعاب مني ومن قلقي وكان كل همي هو

محاولة التخلص من هذا الغريب اللاحق لنا قبل أن يطلب مني أبي

التوقف للصلاة

(الشيخ): وكيف تخلصت منه؟

(مراد): سأكون كاذباً لو قلت بأني تخلصت منه.. لقد توقف عن مطاردتنا فجأة وغير من مساره لكنه لم يتوقف عن الجري والسير بالطول حتى اختفى عن الأنظار

(الشيخ): فهمت..

(مراد): ماذا كان؟.. ولِمَ طاردنا؟

(الشيخ): كينونة من فصيلة ((الغير)).. نوع من أنواع الجن.. سهل الاستفزاز.. مثل أبيك تماماً

(مراد) بقلق: وماذا كان يريد منا؟

(الشيخ): غالباً إلحاق الأذى بكما.. أغلب المواجهات مع هذا النوع من الجن تكون عواقبها وخيمة وقليل من ينجو ليحكي قصة مثلك

(مراد): كلامك لم يمنحني الطمأنينة التي كنت أبحث عنها

(الشيخ): لذلك أتجنب تفسير الأحداث غالباً.. شكراً لاتصالك.. لنأخذ اتصالاً آخر

- صباح الخير..

(المذيع) صباح النور..

- أريد المشاركة لكن دون التعريف باسمي

(المذيع): لست مجبراً على ذلك. تفضل.. ما هي قصتك؟

- في الحقيقة هي ليست قصتي. هذه القصة رواها لي صديق عن صديقه

(المذيع): نحن في العادة لا نستقبل القصص المنقولة.. فقط تلك التي يرويها أصحابها ومن مروا بها بأنفسهم لأن مصداقية القصص المنقولة أقل من غيرها وتفقد الكثير من التفاصيل

- أستطيع أن أؤكد لك أن ما سأقوله دقيق وصحيح ولا مجال فيه للشك

(المذيع) ومن أين حصلت على هذا اليقين إن كنت مجرد ناقل؟

- دعني فقط أقل ما عندي وأنت

(المذيع) تريد أن تشتهر؟

- نعم أرجوك.. لا أستطيع النوم دون أن تسمح لي..

(المذيع) بالرغم من أن لــــ ســــما لغرابتك في الحديث [illegible] الكامل

- يقول صديقي : رفعت حجراً من على الأرض .. نظرت أسفله .. أغمضت عينيّ ومددت لساني .. أخذت نفساً عميقاً وزفرته من أنفي ثم فتحت عينيّ مجدداً .. أعدت الحجر لمكانه...

(المذيع) : هل هذا كل شيء؟

- نعم

(المذيع) : قصتك ليس بها أي شيء خارج عن المألوف

- أعرف .. ليست القصة هي الغريبة

(المذيع) : ما الغريب إذاً؟

- ما سيحدث لأحد ممن استمعوا إليها

(المذيع) : ماذا تقصد؟

- القصة التي رويتها للتو وسمعتها أنت وجميع مستمعي برنامجك تحمل لعنة

(المذيع) بنبرة متهكمة : لعنة؟

- نعم .. لعنة ستحول وتغير حياة أحدكم مثلما حولت حياتي

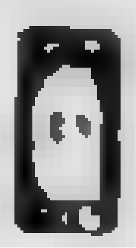

لجسدهم ولن يتمكن من التخلص منها إلا بروايتها لشخص آخر

(المذيع): سمعت عن تلك الخرافة من قبل .. ومع احترامي لك فهي أكذوبة

- لن تكون أكذوبة لأحد مستمعيك .. وربما تكون أنت صاحب الحظ

(المذيع): حسناً .. سنرى .. لنأخذ اتصالاً آخر ..

- مرحباً .. برنامج «هذا ما حدث معي»؟

(المذيع): نعم تفضل ..

- في الحقيقة لست من المعجبين بالبرنامج ولا أملك مذياعاً من الأساس كي أسمع منه وأتابع حلقاته .. أشعر بأن الناس لم يعودوا مهتمين بالبرامج الإذاعية كالسابق

(المذيع): أختلف معك بأن البرامج التي تبث عبر الأثير وسيلة إعلامية تحتضر في هذا الزمن مثل الجرائد المطبوعة والمراسلات الورقية وبلا شك لا يزال هناك من هم مهتمون بها ويفضلونها عليهما ولم تصل لمرحلة الاحتضار بعد

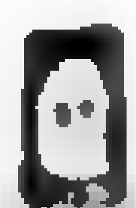

- صحيح وما سمعت عن برنامج من زملائي في الشركة التي أعمل بها .. لذلك شعرت شهرة كبيرة في الموضوع.

(المذيع): وأين تعملين؟

- في شركة للدعاية والإعلان.

(المذيع) مبتسماً: تعملين في مجال الإعلام ولا تجذبك البرامج الإذاعية؟

- لا أبداً. ليس كرهاً أو عدم اهتمام لكن انشغالي الدائم منعني ربما.. ظروف حياتي لا تسمح لي بممارسة الأنشطة الجانبية كثيراً والأمر الآخر الذي يشغل بالي أخذ ما تبقى من ذلك الوقت

(المذيع): عن أي أمر تتحدثين؟

- الشيء الذي يحدث معي وهو سبب اتصالي ببرنامجك .. أريد أن أعرف هل حدث لأحد مثلي؟. هل صدمة الحياة جعلتني أتخيل أشياء لا وجود لها لكن ما أعاني من انحراف جعلني وصحتي وأثر بحالي هل ورثت الأسياد

(المذيع): عرفنا بنفسك أولاً..

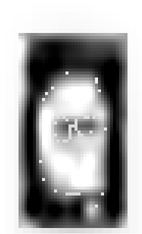

- أنا (يسرى)..

(المذيع): تشرفنا يا (يسرى).. تفضلي نحن منصتون..

(يسرى): لا أعرف من أين أبدأ.. أشعر بأن حديثي سيكون غير مفهوم لأن أنا نفسي لا أفهم ما يحدث لي

(المذيع): فقط تحدثي وكأنك تتحدثين مع نفسك ونحن هنا لسنا بصدد إصدار أي أحكام عليك نحن فقط نشارك تجاربنا ونحاول إذا أمكن توفير بيئة آمنة للحديث عن مخاوفنا وهذا بحد ذاته ساعد الكثيرين لتجاوزها خاصة عندما يدركون أنهم ليسوا وحدهم

(يسرى): حسناً.. في كل ليلة أشعر بأن..

توقفت (يسرى) عن الكلام مما دفع المذيع للتساؤل: هل ما زلت معنا؟؟

(يسرى) زفرت: للتو أدركت أني قد أفصحت عن اسمي الحقيقي وهكذا حصل كذلك ولا بد وأن زملائي مستمعون للبرنامج الآن وقد تعرفوا على صوتي وسأبدو كالمجنونة أمامهم لو قلت ما يحصل.. أشعر بأني استعجلت بالاتصال.. لم يعد لي رغبة في الكلام

(المذيع): كما تشائين .. وقتما تجدين تلك الرغبة عندئذ رقم البرنامج موجود عندك

(يسرى) قبل أن تغلق الخط: شكراً لتفهمك

(المذيع): العفو، وأتمنى أن تجدي الراحة التي تستحقينها . لأحد تصالاً آخر

- لا أصدق أنكم استقبلتم اتصالي . أنا أحاول الاتصال كل أسبوع منذ مدة طويلة وفقدت الأمل

(المذيع): لو كنت قد فقدت الأمل لما اتصلت اليوم .. أليس كذلك؟

- أفترض أنك محق .. هل أحكي قصتي الآن؟ ولا أريد التعريف بنفسي مثل المتصلة السابقة التي قالت اسمها ومكان عملها

(المذيع) متهكماً: هل تنوي أنت أيضاً نشر قصتك الخاصة مثل من سبقها؟

ضحك المتصل وقال: لا أبداً . سأشارككم قصتي أنا فقط ..

(المذيع): نحن منصتون ..

- حسناً .. أنا .. لدي موهبة .. موهبة قد يراها البعض غريبة

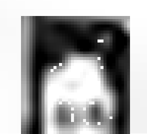

أو حتى مطرقة لكتي في الحقيبة لنستمتع بها وبسماع صوتها لا
تمنحني شعوراً جميلاً بالمغامرة والاستكشاف تأميناً
للمكاسب غير المتوقعة من وقت لآخر

(اللليم): هواية ماذا؟

- البحث في القمامة ..

(اللليم): صفرة؟ .. البحث في ماذا؟

- القمامة .. أحب التجول بسيارتي لجمع أكياس القمامة من أمام
منازل الناس وأحياناً من المطاعم الكبيرة وأعود بها المنزل
وأقوم بتفريغ محتواها والبحث عن كنوزها

(اللليم) باستنكار: كنوز؟

- نعم .. لن تستطيع تخيل الأشياء الغريبة والمثيرة للعجب التي
يتخلص منها الناس ظناً منهم أن لا أحد سيراها ناهيك عن
المفاجآت الملهمة التي عرفتها عن طريق لمسها والتفرس بها أنا

(اللليم): هواية مقرفة التي لن تتوقف عن ممارستها

- في الحقيقة لقد توقفت منذ هذا الشهر . بسبب كيس قمامة

فتحته ووضعت يده على صدري حيثما لبث حتى الآن

وهذا سبب اتصالي بمن تعرف .. بحث عن مخرج

(الشيخ): أنا صامت..

- غالباً القمامة التي أجمعها وأبحث فيها تكون بلا قيمة تذكر وبنهاية كل عملية فرز يتوجب علي التخلص منها كي أتمكن في اليوم التالي من إحضار المزيد وأسرع طريقة وجدتها هي إحراقها لذا صممت فرناً ضخماً في باحة منزلي خصصت لتلك المهمة .. فرن يعمل على الغاز يستوعب كمية كبيرة من النفايات ويمكنه إحراقها خلال وقت قصير ولا يبقى سوى الرماد الذي أجمعه في أكياس أتخلص منها عند المرور لنقلها بحمولة المجرى

(الشيخ): إخلاصك في مراعاة أدق التفاصيل مثير للاهتمام..

- لكن ذلك الفرن لم يصلح للتخلص من القمامة التي حلت علي يوم فتحت ذلك الكيس للنزوم والرفث عنوة على أمري هزة هزتني ورأيت عنوة..

(الشيخ) باهتمام: ماذا رأيت؟

- شيء مقزز.. أنا معتاد على الأشياء المقززة وأتوقع الأسوأ دائماً
لكنا في النهاية نبحث في قمامة وهذا شيء متوقع لكن ما رأيته
كان أقرف من أي شيء رأيته من قبل .. رأيت ..

(يمنى) متقلقة للنهاية: لقد اكتفيت من هذا البرنامج!

(عاصم): لم أخافك؟! .. أود إكمال الحلقة!

(يمنى): لا أحب سماع مثل هذه الأشياء خصوصاً في وقت متأخر من الليل

(عاصم) مبتسماً: ما بك؟! .. هل أصبت بالخوف؟!

(يمنى) ساخرة من تعليقه: الخوف؟ .. لو كنت تعرفني حق المعرفة لما قلت ذلك

تمضي الآن الشاحنة المسافة في المخيمات والمزارع وعند تجاوزها للمنطقة التي كانت نقطة التفتيش متمركزة بها وجدا أن المفتشين قد رحلوا.

(عاصم): لحسن الحظ أنهم رحلوا

(يمنى): بالعكس وجودهم مطمئن في هذه الأماكن الخطرة

(عاصم): مطمئن إذا لم يلاحظوا شكوكهم

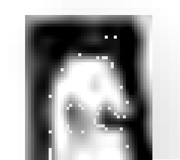

(يمنى): هذا جزء من واجبهم فلا تلمهم

بعد سير مستمر وصلا لمحطة بنزين ركن فيها (عاصم) سيارته كي

تفاجأ أنهما لم يجداها وبعد بحثهما وتفحص الموقع بشكل دقيق قال

(عاصم) متعجباً:

هل أنتِ واثقة من أنا توقفنا عند المكان نفسه؟

(يمنى) وهي تبحث بنظرها حولها: نعم واثقة. هذا هو المكان

نفسه

(عاصم): أَأنتِ واثقة؟ . معظم الطريق متشابه

(يمنى) مشيرة على بعد منها: «هذا كوب القهوة الذي رميته قبل

أن أتوقف لك..»

(عاصم) باستنكار: هل أنتِ من هؤلاء الناس؟

(يمنى) ملتفتة نحوه: أي ناس؟

(عاصم): انسي الأمر.. من الواضح أن السيارة سرقت.. ما العمل

الآن؟

(يمنى): كيف تسرق وهي فارغة من الوقود؟

(عاصم): ربما سبقنا اللص وملأ الخزان

(يمنى): وكيف يستطيع أحد سرقة سيارتك وهي مقفلة ومفتاحها معك؟.. كلامك غير منطقي

(عاصم) بشيء من الحرج: في الحقيقة.. لقد تركت المفاتيح في السيارة عندما ركبت معك

(يمنى) بنبرة مصدومة: هل أنت حقاً بتلك السذاجة؟!

(عاصم) مبرراً: ماذا أفعل؟! . حديثي معك ومحاولة إقناعك بسرعة جعلني أنسى الأمر!

(يمنى) واضعة كفوفها على خصرها بتجهم وهي غير مقتنعة: وكيف ذلك؟!

(عاصم) بخليط من التوتر والارتباك: بمجرد ما أن وافقت على صعودي للسيارة كنت مستعجلاً قبل أن تغيري رأيك ونسيت أني قد تركت المفاتيح في فتحة التشغيل

(يمنى) متهكمة: هلا حللت الغازنا فيما حدث؟

(عاصم): ما هو؟

(يمنى): هل لا يوجد قاطع طريق محكم مغلق يسلك مسلكك هنا أسرع للسيارة ليبلغ الشرطة

ركب (عاصم) ضاحكاً وقال: لا تعجبي فقد كنت يوماً قريباً من

كونه!

(هبي) مديرة الشبارة للإعداد العسكري ماذا تعني؟

(عاصم): أعترفت سابقاً بأن سبب توقفي هو عدم تزودي بالوقود

(هبي): نعم وكنت مستغربة وقتها من تصرفك اللا مسؤول

لكن وبعد التعرف عليك أكثر وجدته مستحيلاً مع صفاتك المهملة

والدليل سيارتك لما تبيعك أيضاً

(عاصم): لكنني لم أعرف السبب .. لقد توقفت بالفعل للتزود

بالوقود لكن ما حدث لي في المحطة منعني من ذلك .. هل تريدين

سماع ما حصل؟

(هبي): لا .. فالطريق الآن أصبح أطول ولنا أحتاج للتسلية كي

لا أضجر ولدي شعور مسبق بأنه سبب سخيف .. لكن لا مانع من

سماعه

تبسم (عاصم) وبدأ بسرد حكايته.

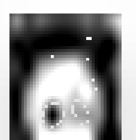

المطارد والطريدة

لخبرها بأنه خلال سيره في الطريق المظلم لمح رجلاً يشير له بالتوقف وكان من الواضح أنه يبحث عمن يقله وأنه من المسافرين الذين يعتمدون على التنقل من سيارة لأخرى حتى يصلوا لوجهتهم لكنه وبعكس (يمنى) لا يثق بأي أحد غريب مهما حدث خاصة في أماكن مقطوعة كهذه لذا تجاهله واستمر بالسير وتجاوزه لكنه تفاجأ وبعد مسافة قصيرة بالرجل نفسه يقف على جانب الطريق يشير له بالطريقة نفسها ولوهلة ظن أنه شخص مختلف لكنه تحقق من أنه الرجل ذاته من ملابسه وملامحه المميزة.

اقشعر جسم (عاصم) مما رآه وزاد من سرعته أكثر ليتجاوزه لكن

الصدمة الحقيقية أتت بعد سيره مسافة أقصر من السابق لانه
الرجل مجدداً لكنه هذه المرة لم يكن يشير له بل بقي يحدق به
وكأنه يعرف أن (عاصم) لن يتوقف له وهذا ما حدث بالفعل

وصل (عاصم) أخيراً للمحطة التي خلت من أي زبائن أو
مشرفين على مضخات الوقود فقد كانت تعمل بطريقة
باستخدام البطاقات الائتمانية الذكية فترجل من سيارته وبدأ
الازرار لتحديد كمية الليترات التي يريد ضخها في سيارته وخلا
قيامه بذلك لمح مشهداً أثار فزعه. رأى الرجل الذي تجاوزه
مرات على قارعة الطريق يخرج من بين الأشجار وراء المحطة و
نحوه على عجالة تحولت في لحظة خاطفة لهرولة خفيفة و
تلمعان شراً مما دفعه لترك كل ما كان يقوم به والعودة لسيارته
لحسن حظه لا تزال مدارة وانطلق مسرعاً من المكان دون أن يتز
بالوقود.

(يمنى) بوجه متعجب ومتسائل : ويعدها نفذ منك الوقود حي
وجدتك؟

(عاصم) : نعم بالضبط وكنت مرعوباً وقتها من احتمالية أن يجده
وأنا في انتظار المساعدة

(يمنى) : هل تظن أنه هو الذي سرق سيارتك؟

(عاصم) : لا أعرف لكني أذكر ملامح وجهه تماماً وسوف أصفه للشرطة حين أبلغ عن سرقة السيارة

(يمنى) : وماذا ستفعل بعد أن تبلغ الشرطة؟ .. هل ستعود لمدينتك أم ستكمل رحلتك؟

(عاصم) : سأرى ما سيحدث وقتها .. لا تقلقي لن أطلب منك إيصالي لمكان أبعد

(يمنى) باسمة : لم أقصد ذلك لكن يستحسن ألا تتمل عند تأخرت بالفعل عن موعد الوصول لوجهتي

(عاصم) مديراً نظره نحوها : لم أنتِ ذاهبة لمدينة ((الرغوع)) إذا لم يكن في سؤالي تطفل؟

(يمنى) : سؤالك بالفعل فيه تطفل ولن أجيب

(عاصم) موجهاً نظره أمامه : حسناً كما تشائين

توقف الاثنان عند المحطة وترجلا من السيارة وكانت الساعة وقتها قد تجاوزت الثالثة صباحاً وعلى عكس ما توقعا كانت المحطة مغلقة وأنوارها مطفأة بالكامل. حتى مركز البقالة الذي يعمل على مدار الساعة أغلق والبائع غير موجود ولا أثر له في الجوار.

(عاصم) : أمر غريب ..

(يمنى) متفحصة باب البقالة : والأغرب أن الباب لا يزال مفتوح

الأنوار مطفأة فقط

(عاصم) : هل ندخل؟

(يمنى) محدقة بالباب : لا أعرف ..

(عاصم) : سنستخدم الهاتف فقط ونخرج على الفور

(يمنى) دافعة الدرفة بكفها بحذر : حسناً هيا بسرعة

دخلا لوسط مبنى البقالة وبدأا بالبحث بالرغم من ظلمة المكان

لكنهما لم يجدا أي هاتف ثابت يمكنهما استخدامه وبعد ما فقدا الأمل

قال (عاصم) :

هيا لنخرج قبل أن يلحظ أحد وجودنا ونتهم باقتحام المكان

لسرقته ..

(يمنى) : لنأخذ بعض الحاجيات قبل أن نرحل كي لا نجوع في

الطريق

(عاصم) : هذا ليس وقته .. هيا لنخرج

(يمنى) واضعة كفوفها على خاصرتها ويسرة متهكمة : وهل ستطعمني أنت عندما أجوع!

(عاصم) كيساً بلاستيكياً بعصبية وبدأ يملؤه ببعض سحب الحلويات والشطائر الجاهزة من على الوقوف فقالت له : ماذا تعمل؟

(عاصم) وهو مستمر يملء الكيس بالمواد الغذائية وبعصبية : ماذا تظنين أني فاعل؟! .. أتزود بالطعام لسد شراهتك!!

(يمنى) : لكنك وضعت شطائر لحم في الكيس .. أنا لا آكل اللحوم

(عاصم) متجهماً رابطاً الكيس بعد ما عبأه عن آخره ونبرة متهكمة : للأسف لا يوجد عندهم شطائر سمك!

(يُمنى) : ولا أريد سمكاً .. أنا نباتية

(عاصم) : لا تأكليها إذاً .. سأتناولها أنا

(يمنى) : كيف تأكل مثل هذه الأشياء

(عاصم) : ما بها .. هل هي كالتدخين تثير غثيانك أيضاً

(يمنى) : بل أسوأ .. أنا لم أصبح نباتية إلا بعد ما عرفت كيف تصنع تلك الأشياء

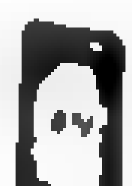

(عاصم) : اللحوم طبيعية وليست مصنعة

(يمنى) : كل طعام معلب فهو مُصنّع .. وعلى كل حال لقد أقلعت عن تناول جميع اللحوم وبكل أشكالها

(عاصم) بتذمر : هل حقاً تريدين خوض هذا النقاش الآن؟!

(يمنى) : لا أريد خوض أي نقاش مع مدخن آكلٍ للحوم الميتة مثلك

(عاصم) : لتفضل .. هيا لنخرج لقد أضعنا ما يكفي من الوقت!

(يمنى) واضعة كفيها على بطنها : أحتاج أن أستخدم الحمام

(عاصم) بصوت غاضب مكبوت : وهل هذا وقته؟!

(يمنى) متوجعة : لا أستطيع الانتظار أكثر!

(عاصم) زافراً : حسناً .. سنبحث لي الخارج عن دورة مياه

(يمنى) مشيرة جانباً بسبابتها وهي تتلوى : «يوجد حمام خاص هنا .. لن أتأخر أعدك!»

(عاصم) مطلاً للخارج من خلال زجاج الباب : حسناً! .. أسرعي!

جرت (يمنى) نحو دورة المياه ودخلتها وأغلقت الباب خلفها تاركة

(عاصم) واقفاً عند مدخل مركز البقالة من الداخل يراقب سيارتهما والمنطقة المحيطة بها بتوجس ..

بعد عدة دقائق صرخت (يمنى) عندما سمعت طرقات قوية ومتلاحقة على باب دورة المياه تبعها صوت (عاصم) المرتفع والمتوتر : «هيا! .. يجب أن نرحل في الحال!»

(يمنى) من داخل دورة المياه : لكنني لم أنتهِ بعد!

(عاصم) بعصبية : اخرجي وإلا كسرت الباب!

استعجلت (يمنى) ما كانت تقوم به وفتحت الباب بوجه غاضب ونبرة ساخطة :

«ما بك؟! .. هل جننت؟!»

لم يجب (عاصم) عليها بل قبض معصمها وشدها بقوة بعد ما رمى كيس المواد الغذائية وجرى بها خروجاً من البقالة ولم يحرر يدها إلا عند السيارة وهو يصرخ فيها :

«اركبي وأديري المحرك في الحال!»

نفذت (يمنى) طلبه وهي مشوشة ولم تجادله وانطلقت مسرعة من المكان بينما كان (عاصم) ينظر للخلف بقلق شديد.

(يمنى) ضاربة على المقود بقبضتها بحنق : هل ستخبرني الآن
الذي يحدث؟!

(عاصم) بجبين متعرق وأعين مركّزة على الطريق خلفهما : لقد
رأيته ..

(يمنى) بخليط من التساؤل والتجهم : رأيت من؟!

(عاصم) معتدلاً في جلسته ناظراً أمامه :

«الرجل .. الرجل الذي كان يطاردني .. لمحته يتجول عند المضخات
يتفحص سيارتنا قبل أن يعود للغابة من حيث أتى ..»

(يمنى) زافرة: ألا ترى أنك تبالغ بعض الشيء بردة فعلك هذه؟

(عاصم) مستنكراً : ماذا تقصدين بـ «أبالغ»؟ .. ألم تسمعي ما
أخبرتك به سابقاً؟

(يمنى) بدون حماس : بلى .. لكن .. الرجل فعلياً لم يتعرض لك
حتى الآن

(عاصم) بعصبية : وهل سأنتظر حتى يتعرض لي بسوء كي تقتنعي؟!

(يمنى) : هدئ من روعك أنا أحاول مناقشتك بالمنطق لا أكثر

(عاصم) بغضب : منطقك معطوب!

(يمنى) : منطقي هو الذي أقنعني بإعطائك فرصة ومساعدتك وإلا لكنت لا تزال على قارعة الطريق المظلم تعلق شاشة هاتفك

(عاصم) متأففاً بتذمر : ليتك تركتني بدل أن أسمع هذا الكلام الفارغ!

(يمنى) بهدوء : ما بك الآن؟ .. لمَ كل هذا الغضب؟

(عاصم) : كلامكِ! .. كلامك الغريب! .. وكأنكِ ستقومين بشيء مختلف لو كنتِ مكاني

(يمنى) : بالطبع كنت سأتصرف بطريقة مختلفة بدل الهرب كالدجاجة

(عاصم) : هل تلمحين لي أنكِ أشجع مني؟

(يمنى) : نعم لا جدال في ذلك

صمت (عاصم) دقيقة كاملة عدقاً بها وهي تقود السيارة بوجه واثق ولم يعلق على حديثها وأسند ظهره للمقعد عابساً ..

(يمنى) مستأنفة كلامها وعيناها على الطريق المظلم أمامها : اجهتنا نتعرض لمواقف مشابهة في حياتنا وطريقة تصرفنا وتعاملنا

معها هي التي تحدد إلامَ ستؤول الأمور .. أحياناً خيالنا يوهمنا بما هو غير حقيقي ونبالغ بتلك الخيالات لدرجة الوهم ..»

(عاصم) متجهماً عاقداً ذراعيه وحاجبيه قائلاً بتهكم :

«وهل طاردكِ رجلٌ غريب يستطيع قطع مسافاتٍ طويلة في زمن قياسي من قبل؟»

(يمنى) : ممم في الحقيقة لا لكني تعرضت لموقف مشابه ولم يكن تصرفي مثل ما فعلت للتو

(عاصم) باهتمام : حقاً؟ .. ما هو؟

(يمنى) : لا أعرف إن كان يجدر بي أن أحكي لك ..

(عاصم) : الطريق طويل كما تقولين وقد أصبح أطول الآن

(يمنى) : ماذا تقصد؟

(عاصم) : سوف أرافقكِ إلى أقرب مدينة نمر بها وهذا لن يحدث قبل حلول الصباح .. أم أنك تنوين التخلص مني؟

(يمنى) مبتسمة : لا لن أفعل ذلك .. حسناً سأخبرك

أخذت (يمنى) نفساً عميقاً زفرته وحكت حكايتها ..

نظرة ثاقبة للوراء

خلال فترة دراستي الجامعية عملت في وظيفة مسائية لزيادة دخلي.. محل بسيط لبيع وتغليف الهدايا والتحف يقع في منطقة غير مزدحمة بالرغم من أن الشارع تجاري ويكون مكتظاً وقت النهار لكن مع حلول المساء تنخفض أعداد الناس ومرتادي المحلات التي تبدأ بالإغلاق تدريجياً ولا يبقى منها سوى عدد محدود ومن ضمنها المحل الذي كنت أعمل فيه ويصبح ذلك الشارع موحشاً بعض الشيء وتزداد غرابة الزبائن كذلك في تلك الفترة من الليل.

غرابة زبائن الليل لم تكن تقارن بزبون يتردد على المحل من بعد

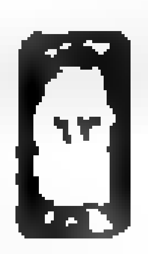

العاشرة تقريباً وبشكل شبه يومي ولا أدري إن كان من الصحيح ان أسميه "زبوناً" فهو لم يشترِ شيئًا من المحل قط ويكتفي فقط بالتجول في المحل متظاهراً بالاهتمام ببعض السلع كي يجد حجة للتحدث معي وسؤالي عن سعرها بالرغم من أنه موضح عليها بملصق.

نظراته المقززة تحلق بي وتتفحصني بطريقة مقرفة في كل مرة مد لي فيها غرضًا ما للسؤال عن قيمته وعندما أجيبه باقتضاب دون ترك اي مجال ليمتد الحوار أكثر. كما كان يحاول فتح موضوعات جانبية مثل السؤال عن مواعيد عملي وعما إذا كنت مرتاحة فيه أم لا ومهما كان أسلوبي معه خاليًا من التفاعل لنقل شعور عدم الارتياح له وللحديث معه إلا أنه لم يترك عادة التردد على المحل كل ليلة ماتعدم لمضايقتي بتحرشه المكشوف والأحمق لفترات طويلة.

كان رجلاً مقرفاً.. مقرفًا بشكلٍ لا يوصف وما زاد من اشمئزازي منه هو انه يرتدي ملابس شتوية ونحن في أشد أشهر السنة حرارة لذا كان على الدوام يتصبب عرقاً وتفوح منه رائحة تثير الغثيان ناهيك عن ابتسامته القبيحة بتلك الأسنان الصفراء خلال تفحصه لجسدي بأعينه المحمرة مما جعلني أشك في نفسي وطريقة لباسي لأني لم أصدق أن هناك إنساناً سوياً يمكن أن يكون بتلك الوقاحة

والبرود وانعدام الذوق وأنت تعامله بكل ذلك الصدود الواضح.

فلتت أعصابي يوماً خلال أحد تحرشاته السمجة وانفجرت فيه غضباً طالبة منه الرحيل والخروج من المحل وتركي وشأني وعدم العودة مرة أخرى لكن ردة فعله الغريبة صدمتني فقد لامني وتحدث معي بنبرة معاتبة وكأننا كنا في علاقة طويلة وطلبت الانفصال منه للتو.

طردته شر طردة بعد ما رميت عليه بعض الحاجيات المصفوفة ورائي ولحسن الحظ أنه أفاق من وهمه وخرج كالفأر يجر أذيال الخيبة.

تعجب (عاصم) مما سمع وقال: وهل انتهت الحكاية عند ذلك؟

(بشرى) باسمة بحسرة: القصة لم تبدأ بعد..

استأنفت كلامها وقالت بأنها بعد تلك المواجهة معه لم تره لمدة أيام لكنها بدأت تلاحظ أمراً أثار تعجبها وحيرتها فقد بدأت تشاهد عند قدومها للمحل صباحاً وجود ما يشبه السائل المدفوق عند عتبة المحل، تجاهلته في الأيام الأولى لكن ومع تكراره بشكل يومي انحطرت متبهلاً ومسحت جزءًا منه وقربته عند أنفها واشتمته. رائحته كانت كخليط من البهارات والعطور الفاسدة وملمسه ولزوجته يشبهان الدهن العتيق.

اضطرت (يمنى) لإخبار صاحب المحل والطلب منه بأن يرجع لكاميرات المراقبة المنصوبة عند المدخل وبالفعل شاهدوا الرجل نفسه يتردد كل يوم قبل موعد حضورها بنصف ساعة تقريباً ويسكب تلك المادة المجهولة بعد ما يتحقق من خلو الطريق من المارة.

لم يتردد صاحب المحل بإبلاغ الشرطة وتزويدهم بمحتوى التسجيلات ولأن الرجل حرص على إخفاء وجهه لم يتمكنوا من تحديد هويته بالرغم من إصرار (يمنى) على أنه نفسه الشخص الذي كان يتردد عليها ويضايقها لذا قرروا نصب كمين له للقبض عليه متلبساً لكن للأسف لم يظهر في اليوم التالي ولا الذي تلاه ولم يكرره مرة أخرى. حظيت (يمنى) ببعض الراحة لمدة أسابيع لكنها تبخرت عندما بدأت تلمح الرجل نفسه في أماكن وأوقات مختلفة خارج مواعيد عملها في المحل.

أصبحت تراه مثلاً عند ذهابها أو عودتها من الجامعة أو زيارتها لأقاربها أو إحدى صديقاتها يقف بعيداً في الشارع المقابل أو متوارياً خلف سيارة أو شجرة يراقبها وفي بعض الأحيان لم يكن مهتماً بالاختباء بل يقف بكل ثقة محدقاً بها بوجه خالٍ من الملامح والتعابير.

شعرت (لمنى) بأنه يخطط لأمرٍ ما ويضمر الشر لها منتظراً الفرصة المناسبة للإقدام على ما كان يدور برأسه لذا قررت في النهاية إبلاغ والديها اللذين أخفت عليهم ما حدث مع الشرطة وصاحب المحل ظناً منها أن الأمر انتهى إلى هذا الحد ولاحتمالية منعهم لها من مزاولة عملها خوفاً عليها لكن شعورها بالرعب من تلك الملاحقة لم يترك لها خياراً آخر.

بعد حديث مطول مع أخيها الأصغر الذي يدرس في المرحلة الثانوية شرحت له فيه كل ما حدث بالتفصيل اتفق الاثنان على أن تخرج معه لمكان عام وتتجول وحدها وأن تتصل عليه بهاتفها المحمول لو لمحته في الأرجاء وبالفعل هذا ما حدث.

طلب أخوها منها ركوب سيارة أجرة والعودة للمنزل على الفور بعد ما تمكن من تحديد موقع الرجل خلف أحد كشكات البيع لكنها ترددت وقالت له: «ماذا تنوي أن تفعل؟!» طمأنها وأخبرها بأنه فقط ينوي مراقبته حتى يتمكن من معرفة عنوانه ليبلغ الشرطة عنه وبالرغم من عدم اقتناعها لمعرفة مدى تهور أخيها إلا أنها وافقت وركبت سيارة الأجرة وتوجهت للبيت.

تحرك الرجل وركب سيارته في نية للحاق بها ومن خلفه أخوها الذي

ركب سيارته هو الآخر وبدأ بتعقبه. تمكنت (يمنى) من التملص ر
ملاحقته لها عندما فصلت بينهما إشارة ضوئية وبالرغم من معرفته
لموقع منزلها إلا أنه غير اتجاهه ولم يكمل تتبعه أكثر عكس لحيه
الذي ظل يتعقبه.

بعد ما وصلت (يمنى) للمنزل دخلت غرفتها مباشرة وهاتفت
لنعامها في الحال..

(يمنى) بشيء من القلق: أين أنت الآن؟

- مازلت وراءه.. لقد ابتعدنا كثيراً عن قلب المدينة

(يمنى): لست مطمئنة لما تفعل.. عد على الفور!

- بعد ما قطعت كل هذه المسافة؟

(يمنى): لا يهم.. عد للبيت فوراً

- نحن على مشارف الخروج من المدينة للخط الصحراوي.
أتساءل أين يسكن هذا الحقير؟

(يمنى): اسمع.. دوّن رقم لوحات السيارة فقط فهذا كافٍ للشرطة
لسنا بحاجة لمعرفة مكان إقامته

- قمت بذلك لكني أريد معرفة أين يسكن هذا الوغد

لت (يمنى) إحساس خانق بأن ذلك الرجل قد أحس بتعقب أخيها
ذوله ينوي استدراجه لمنطقة مقطوعة لإلحاق الأذى به فكررت
سيها له بالتوقف والعودة على الفور لكنه لم يستجب وأصر على
ننيجة وقبل أن يغلق الخط قال لها بأنه سيتصل بها فور توقفه في أي
مكان وسيرسل لها إحداثيات لموقع برسالة نصية.

بعد أقل من ساعة تلقت (يمنى) رسالة نصية ذات إحداثيات
تشير لمنطقة نائية وسط الصحراء فاتصلت مباشرة بأخيها لكنها
وجدت هاتفه مغلقاً. طالت ساعات الانتظار وحل الليل ولم
يتواصل أخوها معها فقررت إبلاغ الشرطة وإعلامهم بما حدث
لكن قبل أن تفعل سمعت صوت سيارة أخيها تُركن عند المنزل
فهرعت للخارج لاستقباله والاطمئنان عليه.

كان بخير.. ولم يكن بخير.. جسده لم يمس بسوء لكن من الواضح
أنه تعرض لصدمة نفسية من نوع ما لأنه فقد القدرة على الكلام
والاستجابة لمن هم حوله لفترة طويلة ومهما حاولوا إخراجه من
تلك الحالة بعرضه على الأطباء لم يتمكنوا من ذلك وبقي كما هو
لعدة سنوات. لم ترَ (يمنى) ذلك الرجل مرة أخرى ولم تحاول تعقبه

أو الإبلاغ عنه خاصة بعد أن اختفى من حياتها تماماً مما جعلها تشك بأن أخاها ارتكب جريمة ما قد يتهم فيها فآثرت السكوت

تخرجت خلال تلك الفترة من الجامعة والتحقت بوظيفة في مدينة أخرى وبقي إحساس القلق لما حل بأخيها ملازماً لها ويلاحقها، لم تعرف ما حل به ذلك اليوم حتى أفاق من حالته يوماً دون سبب أو مقدمات وعاد لحالته الطبيعية.

(عاصم) : وهل أخبركم بما حدث معه

(يمنى) : قال بأنه لا يذكر شيئاً من ذلك اليوم سوى انه ظل يلاحق الرجل إلى أن توقف عند منزل طيني في مكان مقطوع وسط الصحراء وبعد دخوله إليه أرسل لي الموقع ثم ترجل من سيارته وقرر مواجهته في محاولة لتهديده وتخويفه للكف عن ملاحقتي وما أن طرق الباب حتى أحس بدوار شديد على أثره الوعي مباشرة حتى أنه لا يذكر أنه قاد سيارته عائداً للبيت .. لقد دخل في غيبوبة ذهنية لمدة سنوات وكأنه كان مسحوراً.

(عاصم) : أنا متعاطف مع قصتك لكن .. أين الحكمة منها؟ .. لقد انتصر الرجل في النهاية وتمكن من الهرب

من قال لك ذلك؟ .. لقد أخذ جزاءه في النهاية .

(بنى): من قال لك ذلك؟ .. لقد أخذ جزاءه في النهاية

(عاصم): كيف؟

بت (بنى) مترددة في إخبار (عاصم) بقية القصة لكنها زفرت

رقك:

تم أخبر أحداً من قبل بما سأقوله لك ..»

... الوثوق بي

... ك ليس لثقتي بك بل لأني أريد إزاحة شيء عن

كاهلي..

(عاصم): أنا منصت ..

(بنى): عند شفاء أخي المفاجئ بعد عدة سنوات بما في صدري

رغبة قوية في التغلب على مخاوفي والبحث عن مصدرها ومواجهتها

لما وعند تعافيه بالكامل بعد أسبوع تقريباً استعنت بالإحداثيات

التي كانت لا تزال محفوظة في هاتفي وتوجهت لذلك المنزل بحثاً

عنه بالرغم من أنه توقف عن مطاردتي .. لم أكن سأبقى أسيرة

للخوف والمجهول للأبد.

(عاصم): وهل وجدته؟

(يمنى) : نعم وجدته .. في ذلك المنزل الطيني القديم كما وصف
لي أخي .. بعد دخولي من الباب غير المغلق وجدته مستلقياً وسط
باحته جثة هامدة

(عاصم) وهو مصدوم : من قتله؟

(يمنى) : لم يقتله أحد .. مات بشكل طبيعي ويبدو أن هذا سبب
خروج أخي من غيبوبته .. لقد كان بالفعل مشعوذاً ويتعامل
بالسحر .. لا أعرف .. كل ما أعرفه أنني لو لم أذهب لمنزله ذلك
اليوم وأرَ جسده الذي بدأ بالتعفن كنت سأبقى أسيرة الخوف طيلة
حياتي .. ربما لم أواجه مصدر مخاوفي عندما بدأ خوفي في وقته لكنني
واجهت أسباب قلقي حين استمرت .. بذلت كل ما في طاقتي
ليستعيد أخي حياته ويكمل دراسته والحمد لله تمكن من الوقوف
على قدميه حرفياً ومجازياً .. عندها فقط اكتملت دائرة اطمئناني
واستعدت حياتي أنا أيضاً .. كما أخبرتك فمواجهة مخاوفنا قد تكون
مفتاح خلاصنا

(عاصم): وهل هذه القصة علاقة بعدم امتلاكك هاتفاً نقالاً؟

(يمنى) : نعم نوعاً ما ..

أنا متأسف لما حدث لكِ ولأخيكِ

(عاصم): أنا متأسف لما حدث لكِ ولأخيكِ

(يمنى) باسمة: ورحلتي هذه هي للعودة لمدينتنا وحضور حفل زفافه

(عاصم): تهانينا لكم.. وأنتِ هل تزوجتِ؟

(يمنى): لا.. ليس بعد

(عاصم): ولِمَ؟

(يمنى): لِمَ تحولت فجأة لأمي؟

(عاصم) ضاحكاً: المعذرة لم أقصد أن أكون متطفلاً

أدارت (يمنى) عجلة القيادة لركن السيارة على جانب الطريق ونظرها مرتكزٌ على مقدمتها وهي تقول: «جواب سؤالك له قصة لنرى أكثر بؤساً قد أحكيها لك يوماً ما..»

(عاصم) باستغراب: لِمَ أوقفتِ السيارة؟

(يمنى) وهي تتفحص المؤشرات الضوئية على لوحة القيادة: «هي من توقفت بنفسها ولست أنا من أوقفها..»

(عاصم) محاولاً اختلاس النظر لمؤشر الوقود: هل نفد الوقود منكِ أيضاً؟

(يمنى) وهي لا تزال تحاول معرفة سبب الخلل : لا .. معنا وقود كافٍ لكن لسبب ما المحرك تعطل

(عاصم) بارتياب : هذه ليست مصادفة

(يمنى) محاولة إدارة المحرك : لا تكن متشائماً

أصدر المحرك عدة أصوات أشبه بالفرقعات لكنه لم يعمل .

ضغطت (يمنى) زر فتح غطاء المحرك وترجلت من السيارة .

(عاصم) وهو يفتح الباب للحاق بها : إلى أين؟

(يمنى) بعدما رفعت الغطاء وألقت نظرة على المحرك : «لا يبدو أن هناك شيئاً خارجاً عن المألوف .. لمَ لا يعمل المحرك إذاً؟»

(عاصم) وهو يقف بجانبها : أشعر بأن الأحداث تقودنا لمصير مخيف

(يمنى) ضاحكة وهي تغلق غطاء المحرك : ومن سيموت الآن؟ .. البطل أم البطلة؟

(عاصم) : لا تحدثني بهذه الطريقة فالأمر جاد!

(يمنى) موجهة نظرها للطريق الذي قدما منه : وما العمل الآن؟

(...) مشعلاً سيجارة: سننتظر أحداً ليقلنا مثلما فعلت أنت آنفاً

(...) (يمنى) كفها في إشارة لـ (عاصم) بأنها تريد التدخين أيضاً..

(...) وهو يرمي بعلبة السجائر نحوها باسماً بعد ما وضع

(...) واحدة وسطها:

(...) أظن أنك تكرهين السجائر..»

(...) (يمنى) على العلبة ووضعتها في جيبها وهي تقول: وما

(...) ذلك-

(عاصم): ماذا تفعلين؟

تجاهلت (يمنى) سؤاله وسارت بضع خطوات نحو الأشجار

الكثيفة ممعنة النظر في الغابة المظلمة قائلة:

«وماذا لو لم يمر أحد؟.. نحن لم نرَ سيارة واحدة على هذا الطريق

منذ أن هربنا كالفئران من المحطة بسببك»

(عاصم) نافثاً سحابة من الدخان رامياً بعقب السيجارة تحت

قدمه:

«لو لم نهرب لتمكن منا ذلك الرجل الغريب الأطوار..»

(يمنى) بتفكر وظهرها مدار له ونظرها للغابة: لا أريد ترك سيارتي

هنا لكن..

(عاصم) : لا تقولي بأنكِ تفكرين بالسير وسط الغابة إن كنا سنسير فالسير على الطريق هو الخيار الأرجح

(يمنى) أعلنة بضع خطوات إضافية للأمام :

«ابقَ أنت هنا وأنا سأتجول قليلاً لعلنا نجد شيئاً يساعدنا ..»

(عاصم) متهكماً : هذا ما تقوله البطلة قبل أن تموت

(يمنى) ملتفتة نحوه باسمة : أو البطل الجبان الذي يبقى وحده

(عاصم) : أنا لست جباناً!

(يمنى) متقدمة أكثر لوسط الغابة : اتبعني إذاً أيها الشجاع

اختفت (يمنى) خلف الأشجار تاركة (عاصم) يصارع نفسه بين رغبة البقاء ورهبة اللحاق بها ..

لستقر به الحال أخيراً على ألا يبقى وحده وأن يسير خلفها فأغلق الباب وقال منادياً عليها : ألن تغلقي سيارتك أم أنكِ تجيدين انتقاد ما تمارسين؟!

لم يصله أي رد منها ما زاد توتره ودفعه للسير بوتيرة سريعة لوسط الغابة على أثر صاحبته التي سبقته ..

تمكن (عاصم) من اقتفاء أثر (يمنى) حيث رآها تسير بخطوات

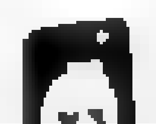

..تفحص بنظرها الغابة من حولها قبل أن يحدثها عن قرب

..لا.

..هل هذا ما تسمينه جولة بسيطة؟ .. لقد سرتِ لمسافة طويلة ..»

(يمنى) وبينما تجولان بين جذوع الأشجار السميكة : «لقد تملكني

شعور غريب ...»

(عاصم) : شعور ماذا؟

(يمنى) : إحساس بأن هناك شيئاً وسط هذه الغابة ينتظرنا

(عاصم) : لا تحاولي إخافتي بهذا الأسلوب السخيف فأنا لن أقع

ضحية لألاعيبك

(يمنى) : أنا أحكي إحساسي فقط وإخافتك آخر اهتماماتي الآن

(عاصم) وكأن صاعقة نزلت عليه وبأعين متسعة : أعتقد أني

سمعت حركة بين تلك الأشجار

(يمنى) : من منا يحاول إخافة الآخر الآن ؟ .. أنا لم أسمع شيئاً

(عاصم) وهو لا يزال مرعوباً : كيف لم تسمعي؟! .. الصوت كان

واضحاً جداً

(يمنى) مستمرة بالسير : لم أسمع شيئاً ..

بعد توغلهما أكثر وسط الغابة بصمت وحذر وضع (عاصم) الساتر خلف (يمنى) كفه على كتفها فالتفتت نحوه قائلة : ما بك؟ هل سمعت شيئاً آخر

(عاصم) واضعاً طرف سبابته على أرنبة أنفه وبنبرة جادة : «لم اسمع لكني شممت ...»

(يمنى) بإستنكار : شممت؟ .. شممت ماذا؟

(عاصم) مستنشقاً الهواء : الآن .. لقد هبت الرائحة مجدداً .. هل حقاً لا تشمينها؟!

(يمنى) محاولة الاستنشاق بتركيز : لا .. لا أشم شيئاً

(عاصم) بأعين راجفة متوترة ناظرًا أمامه : ستشمينها الآن انتظري

(يمنى) مستديرة بكامل جسدها نحوه وبنبرة ساخرة : هل بدأت تفقد عقلك؟

(عاصم) محدقاً بتركيز : انتظري فقط!

صمتت (يمنى) لثوانٍ ثم بدأت بالفعل تشتم رائحة زكية مثل العطر فقالت :

«نعم .. إنها رائحة تشبه .. تشبه ...»

(عاصم): المسك..

(منى): نعم تماماً.. ربما هناك حقل من الزهور قريب منا والريح نقلت عبيره إلينا لا تنسَقْ وراء هواجس عقلك وتوتر نفسك وتوترني معك

(عاصم): لا أعرف لكن كل ما لاحظته هو أن الرائحة تتضاءل عندما أسير وتزداد قوة عندما أتوقف وكأن صاحبها يلاحقني

(منى) مخرجة علبة السجائر من جيبها باسمة: «خذ دخن سيجارة .. يبدو أن حرمانك من النيكوتين قد شوش عقلك..»

(عاصم) آخذاً العلبة مستأنفاً سيره بعد ما وضعها في جيبه: لنكمل طريقنا فقط ولو نعود أدراجنا يكون أفضل أنا لست مرتاحاً لشعوري بأن أحداً يلاحقنا لا يمكنني تجاهله

(منى) وهي تلحق به: لا يوجد أحد هنا كف عن التوهم

بعد سيرهما عدة خطوات توقف (عاصم) مرة أخرى لتعود الرائحة وبشكل أقوى فقال بوجه سارح ومتوتر جداً:

«هذه المرة أنا متيقن من أن هناك شيئاً يتعقبنا وهو مصدر تلك الرائحة!»

(يمنى) باسطة كفيها وهي تدور حول (عاصم) وبنبرة حانقة مستنكرة:

«أين؟! .. أين؟! .. هل ترى شيئًا حولنا .. كل الاتجاهات خالية!. شمالاً وجنوباً .. شرقاً وغرباً!»

عندما وقفت (يمنى) أمامه قال لها بوجه مرتبك وأعين مرعوبة:

«ماذا عن فوق ..؟!»

رفع الاثنان رؤوسهما في اللحظة نفسها ليشاهدا مخلوقاً غريباً يقف فوقهما مباشرة على أحد الأغصان المريضة متقرفصًا محدقاً بهما بأعين صفراء مشعة ولم يتمكنا من رؤية تفاصيل أخرى بوجهه عدا أسنانه البيضاء الطويلة التي كشر عنها مع فحيحٍ مخيف.

تسمر الاثنان مكانهما من الجزع والرهبة وهما ينصتان لذلك الفحيح المرعب الذي تحول لزمجرة خفيفة صاحبها ازدياد لكثافة رائحة المسك في المكان ولم ينكسر سرحانهما إلا عندما سقطت نقطة لزجة كبيرة من لعاب ذلك المخلوق على وجنة (عاصم) أخرجته من تسمره ليفيق من سرحانه وليشد (يمنى) من لباسها منطلقاً بها هاربين متوغلين أكثر وسط الغابة في الاتجاه المعاكس للطريق الذي أتيا منه.

(نهى): من قال لك ذلك؟ .. لقد أخذ جزاءه في النهاية ..

(عاصم): كيف؟

بدت (نهى) مترددة في إخبار (عاصم) ببقية القصة لكنها زفرت

وقالت:

لم أخبر أحداً من قبل بما سأقوله لك ..؟

(عاصم): يمكنك الوثوق بي

(نهى): سأخبرك ليس لثقتي بك بل لأني أريد إزاحة شيء عن كاهلي ..

(عاصم): أنا منصت ..

(نهى): عند شفاء أخي المفاجئ بعد عدة سنوات بما في صدري رغبة قوية في التغلب على مخاوفي والبحث عن مصدرها ومواجهتها لما وجد تعافيه بالكامل بعد أسبوع تقريباً استعنت بالإحداثيات التي كانت لا تزال محفوظة في هاتفي وتوجهت لذلك المنزل بحثاً عنه بالرغم من أنه توقف عن مطاردتي .. لم أكن سأبقى أسيرة للخوف والمجهول للأبد

(عاصم): وهل وجدته؟

(عاصم) متأملاً ذلك البيت المخيف بدا ابيض الارا..

سنواجه مصيراً أسوة

بدأت (يمنى) بالسير نحو المنزل ..

(عاصم) : إلى أين؟! .. لا تقولي بأنك تفكرين بالدخول إليه؟

(يمنى) وهي مستمرة بالسير نحو الباب : وهل تظن أن سأطرد..

وذلك الشيء يلاحقنا؟

(عاصم) : لِمَ لا نعود فقط للسيارة ونبات بها؟! . هذا المكان..

مطمئن!

وقفت (يمنى) عند عتبة الباب واضعة يدها على مقبضه قائلة:

«عد أنت إذا كنت تريد ذلك .. أنا سأبقى هنا حتى الصباح وسالحق..

بك ..»

(عاصم) بغضب : ما تقومين به ليس شجاعة بل غباء!

أدارت (يمنى) المقبض ووجدت أن الباب لم يكن مقفلاً قالت:

«حسناً .. بداية تدعو للتفاؤل ..»

دخلت المنزل بحذر ولم تتمكن في البداية من رؤية تفاصيله بوضوح

بسبب الظلام وبدأت بالبحث عن مصدر للضوء حتى وجدت

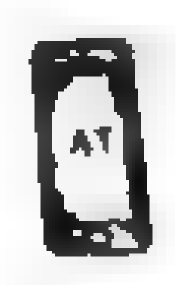

بس النور لكنه لم يشتعل بعد ما كنت عليه لكن ذلك لم يمنعها

من التجول في المكان واستكشافه وتدريجياً اعتادت عيناها على

العتمة وبدأت ترى الأشياء بوضوح أكثر.

(عاصم) من مدخل المنزل : هل وجدتِ شيئاً؟

(منى) وهي لا تزال تتفحص أركان غرفة المعيشة : وماذا تتوقع أن

أجد!

(عاصم) : عن ماذا تبحثين إذاً؟

(منى) رافعة مزهرية فارغة : لا أعرف .. أغلق الباب خلفك إن

كنت تنوي الدخول

(عاصم) يتردد ملقياً نظرة وراءه للغابة المظلمة : ألن تخافي وحدك

وعدت للسيارة؟

(منى) متوجهة نحو غرفة أخرى : سأكون بخير .. فهذا أفضل من

العودة كل تلك المسافة وذلك المخلوق يتجول في الخارج

أغلق (عاصم) الباب وأقفله بالمزلاج ولحق بها ..

دخل الاثنان لمطبخ واسع انبعثت منه رائحة أشبه بعفن الخبز

(عاصم) بوجه مشمئز : من أين تأتي هذه الرائحة المقرفة؟

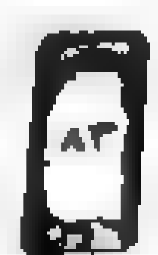

فتحت (يمنى) أحد الأدراج مخرجة سكيناً كبيرة متسخة نصلها «ماذا تتوقع من مكان قديم كهذا؟!»

(عاصم) : ماذا تفعلين؟

(يمنى) متأملة نصل السكين : رائحتها كالسمك ..

(عاصم) : وهل ستقضي بقية اليوم في تفحص المكان بأنوفنا؟

وضعت (يمنى) السكين على المنضدة ورفعت مقصاً مربوطاً بخصلات من الشعر لفت انتباهها وقلبته أمام نظرها بصمت ..

(عاصم) : ماذا قررتِ الآن؟

(يمنى) معيدة المقص مكانه : أخبرتك بأني سأبات هنا الليلة ..

(عاصم) : حسناً لكن أين ستبات؟

(يمنى) خارجة من المطبخ متوجهة نحو السلم المؤدي للطابق العلوي : «سنكتشف المكان أكثر قبل أن تقرر ..»

(عاصم) سائراً خلفها صعوداً ونظره وراءه : أنا واثق من أننا سنندم ..

بعد جولة قصيرة في الطابق العلوي وفتح جميع الغرف التي كانت

كلها مخصصة للنوم بأثاث قديم مهترئ قال (عاصم) «أي غرفة تريدين النوم بها..؟»

(يمنى) وعينها على إحدى الغرف: هل ستتركني أنام وحدي بها المكان المرعب؟

(عاصم) متهكماً: أصبح المكان مرعباً الآن؟ . أين المرأة الخشبية التي تواجه مخاوفها بكل بسالة؟

(يمنى) وهي تتقدم نحو الغرفة التي وقع اختيارها عليها:

«حاول أن تفرق بين الخوف والحذر .. ستبقى معي ولن تتركني..»

(عاصم) لاحقاً بها: تصورت أنكِ تريدين بعض الخصوصية

(يمنى) واقفة وسط الغرفة مستكشفة أركانها:

«فلتذهب خصوصيتي للجحيم .. لن أخاطر بالنوم هنا وحدي»

فرش الاثنان لحاف السرير على الأرض بعد ما نفضا الغبار عنه واستلقيا بعضهما بجانب بعض عدقين للأعلى بعد ما أسندا رؤوسهما للوسائد الممزقة والمهترئة.

(عاصم) متأملاً قطع الطلاء المتقشرة في السقف: من تعتقدين كان يسكن هذا المكان؟

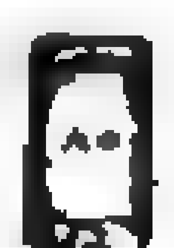

(يمنى) مشاركة في التأمل : أياً كان فقد رحل منذ زمن بعيد

(عاصم) : رحل أم تعرض لسوء؟

(يمنى) : عدنا للتشاؤم والتهويل مجدداً ..

(عاصم) : ولِمَ تظنين أني أبالغ بتفكيري هذا؟

(يمنى) : لأنه أمر طبيعي أن يرحل شخص أو أسرة من مكان مثل هنا وقد لا يكون مسكناً من الأساس .. وربما هو مجرد منتجع لا يزوره أصحابه إلا أوقاتاً محددة في السنة

(عاصم) : متيقن من أنه لم تطأ قدم أحدهم هنا منذ سنوات .

(يمنى) : لا يهم .. هذا لا يعنينا الآن

(عاصم) : الشيء الغريب الذي طاردنا في الغابة

(يمنى) : ما به؟

(عاصم) : لدي إحساس غريب بأنه نفسه الرجل الذي كان يطاردني

(يمنى) : هل من طاردك يملك أنياباً طويلة وعيناه تتوهجان صفرة

(عاصم) : لا .. وهذا سبب حيرتي .. لكن .. ملابسه .. أكاد أجزم أنها الملابس أنفسها

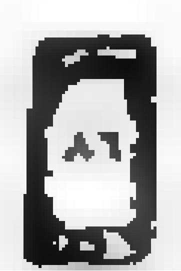

(يمنى) مغمضة عينيها : عقلك الباطن يتلاعب بك فقط

(عاصم) : أتمنى ذلك

(يمنى) : فقط حاول الخلود للنوم وسينتهي كل شيء مع بزوغ

شمس الصباح

نعما الاثنان بعد فترة من الصمت ..

بعد مضي ما يقارب الساعة فتح (عاصم) عينيه وهز كتف (يمنى)

وقال بنبرة متوترة : هل تسمعين؟!

(يمنى) مستيقظة بأعين ناعسة : ما .. ما بك؟

(عاصم) محدقًا بنافذة الغرفة : هل تسمعين ما أسمعه؟!

(يمنى) داعكة عينها بقبضتها متثائبة : أسمع ماذا؟

(عاصم) برهبة وأعين متسعة : ما سمعته للتو!

(يمنى) مشككة : لم أسمع شيئاً .. لِمَ تصر على محاولة إخافتي؟

(عاصم) ملتفتًا إليها : ولِمَ أريد إخافتكِ؟

(يمنى) : لا أعرف .. ظننت..

(عاصم) واضعًا كفه على فمها وأعينه تتفجر جزعاً : صه! .. و

هل تسمعين؟!

رفعت (يمنى) كفه ببطء وقالت : نعم إنه صوت بشر

(عاصم) موجهاً نظره للنافذة من حيث أتى الصوت : الفرار

(يمنى) ملتفتة نحو النافذة : ربما يكون طائراً

(عاصم) : هل تعتقدين ذلك؟

(يمنى) : ماذا عساه أن يكون إذاً؟

(عاصم) يهز كتفها وهي لا تزال تحدق بالنافذة : اذهبي وتحققي

(يمنى) : اذهب وتحقق بنفسك كي تثبت أنك أشجع مني

(عاصم) محاكياً طريقة كلامها بنبرة ساخرة : «حاولي التغلب على الخوف والحذر ..»

تبسمت (يمنى) وقالت : لن أبرح مكاني إلا إذا أتيت معي

(عاصم) هم بالنهوض : حسناً هيا أيتها المغوار

لم يتحرك أي منهما بعد نهوضهما وكان كلاً منهما ينتظر الآخر ليتقدم ..

(يمنى) : ما بك؟ .. هيا تحرك

(عاصم) باسطاً كفه أمامها : من بعدك

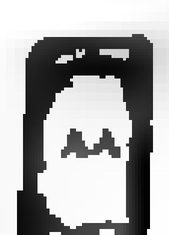

(يمنى) وائحة ظهره : سنذهب معاً

وقف الاثنان عند الشباك المغلق وأطلا من خلال زجاجه المتسخ للخارج بحذر نحو الغابة المظلمة التي بدأت تتضح معالمها قليلاً بسبب استقرار القمر المكتمل المشع وسط سماء صافية خلت من أي غيوم

(عاصم) باحثًا بنظره بين الأشجار : هل ترين شيئاً؟

(يمنى) مشاركة البحث والتفحص : لا .. لا أرى شيئاً على الإطلاق

(عاصم) : من كان ينقر زجاج النافذة إذاً؟

(يمنى) : هناك احتمالات منطقية كثيرة

(عاصم) واضعاً كفه على سطح زجاج النافذة مقربًا وجهه أكثر : «أحتاج واحداً منها في الحال قبل أن أفقد صوابي ..»

في تلك اللحظة لمح (عاصم) شيئًا يقف على أحد الأغصان فأشار بسبابته الراجفة نحوه قائلاً : ما هذا؟

(يمنى) : كأنه قرد ..

(عاصم) وخوفه يتصاعد : لا يوجد قرود في هذه الأرجاء من البلاد

(يُمنى) وهي تحاول التعرف على ذلك المخلوق المستقر فوق الغصن والمحدق بها :

كأنه ..

في تلك اللحظة قفز المخلوق من فوق الغصن نحو غصنٍ آخر ثم هبط للأسفل مختفياً خلف الأشجار ..

(يُمنى) : ما الذي شاهدناه للتو؟

(عاصم) متراجعاً للخلف وبفم مفتوح وأعين مشدوهة : «أعتقد أنه نفسه الشيء الذي لاحقنا وسط الغابة ..»

(يمنى) : أيّاً كان فنحن بمأمن منه هنا .. لنعد للنوم

(عاصم) : عن أي نومٍ تتحدثين بعد ما رأينا ما رأيناه؟!

(يمنى) عائدة للفراش : وما الذي رأيناه؟

(عاصم) يراقبها وهي تستلقي مغمضة عينيها : هل أنتِ حقاً جادة في محاولة النوم؟!

(يمنى) بأعين مغمضة : وماذا تتوقع مني أن أفعل؟ أخرج للبحث عنه مثلاً؟

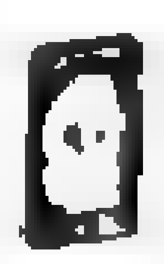

رقت السماء بقوة تبعها هطول غزيرٌ للأمطار صاحبه ومضاتٌ تسبق الرعد..

(عاصم) ضارباً بكفيه على جانبي أفخاذه عائداً نحو النافذة: هذا ما كان ينقصنا!.. السماء كانت صافية للتو!

سالت بعض نقاط الماء تتسلل من شقوق حول النافذة ومن السقف لتسقط على الأرض..

(عاصم) متأملاً الأجواء في الخارج والتي انقلبت رأساً على عقب: يجب أن نغير الغرفة

(يمنى) دون أن تفتح عينيها: لماذا؟.. أنا مرتاحة هنا وبعض قطرات من الماء لن تزعجني.. في الواقع أجدها مطمئنة بعض الشيء

بعد عدة ثوانٍ فتحت (يمنى) عينيها عندما سمعت صوت باب الغرفة يغلق لتجد نفسها وحيدة فقالت محدثة نفسها بتذمر: «أين يظن نفسه ذاهباً؟»

نهضت (يمنى) من مكانها ولحقت به وشاهدته وهو ينزل السلالم نحو الطابق السفلي فنادت عليه من الأعلى قائلة: إلى أين يا مجنون؟!

لم يرد (عاصم) عليها ودخل للمطبخ مباشرة..

(يمنى) زافرة وهي تهم بالنزول: ماذا يفعل ذلك الأحمق؟

قبل أن تدخل وراءه للمطبخ خرج هو ممسكاً بالسكين الكبيرة التي وجدتها سابقاً وعند رؤيتها له وهو محتقن بوجه متشنج قالت: ماذا تفعل؟!

فجأة وقبل أن يجيب عليها بدأ الباب الرئيس بالطرق .. طرقات متتابعة لكنها لم تكن قوية .. ثلاث طرقاتٍ ثم تتوقف .. ثلاث طرقات ثم تتوقف ..

حدق الاثنان ببعضهما بعض وهما مصدومان مما يسمعان من طرقات مستمرة تزامناً مع المطر المنهمر بقوة وأصوات البرق التي هزت المكان من وقتٍ لآخر ..

(عاصم) بجزع ونظره على الباب: من تظنين الطارق؟

(يمنى): شخص يبحث عن ملجأ من المطر ربما

(عاصم): ومن سيأتي لهذا المكان المقطوع؟

(يمنى): لا تنس أننا متطفلان على المكان .. ربما عاد قاطنو البيت الأصليون

(عاصم): هل تحاولين الاستخفاف بعقلي؟ .. ولمَ يطرق أصحاب

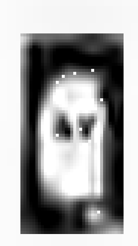

هكان الباب؟! .. احتمال أن يكون الطارق صاحبك الفرد أكبر من

هنا

(منى) وهي تهم بالسير نحو الباب: حسناً أيها المتحذلق لن نعرف

إلا بفتح الباب لنرى بأنفسنا ..

(عاصم) وهو يشد ذراعها ويوقفها: هل جننت؟!

(منى) ملتفتة إليه: هل نسيت ما أخبرتك به عن مواجهة مخاوفنا؟

(عاصم) وعينه المرعوبة على الباب المطروق: ما يقف وراء ذلك

الباب يتجاوز أسوأ مخاوف يمكن أن نفكر بها

توقف الطرق فجأة ..

(منى) معيدة نظرها نحو الباب: يبدو أنه رحل ..

عاد الطرق بوتيرة أقوى وأعنف من السابق دفعت الاثنين للقفز من

مكانيهما مفزوعين ومتراجعين عدة خطوات للوراء ..

(عاصم) بارتباك: لقد تذكرت .. النافذة في الغرفة التي كنا فيها في

الطابق العلوي تطل مباشرة على عتبة الباب الخارجية

(منى): وماذا يعني ذلك؟

(عاصم) هم بالتوجه للسلالم قابضاً على السكين أكثر، معنى ذلك أنه يمكننا رؤية الطارق بوضوح من هناك!

صعد الاثنان جرياً للطابق العلوي وتوجها مباشرة نحو مدخل الغرفة التي باتا فيها سابقاً لكن وقبل أن يدخلاها سمعا صوت الباب الرئيس في الطابق السفلي يُكسر ويتحطم وصوت العاصفة المطرية بالخارج يدخل مبدداً هدوء المنزل. في لحظة ارتباك وتشوش غيرا وجهتهما ودخلا غرفة أخرى وتوجها مباشرة نحو دولاب ملابس خشبي كبير واختبآ وسطه وبقيا واقفين فيه يرتجفان ذعراً.

توقف المطر وهدأت السماء ولم يسمعا سوى فحيح أنفاسهما الساخنة وصوت خطوات ثقيلة تصعد السلالم ببطء. أنصتا برعب متتبعين صوت تلك الخطوات وهي تتجول بين الغرف وتفتح أبوابها واحدة تلو الأخرى وتفتشها بهدوء وبطء حتى وصلت الخطوات لغرفتهما ودخلت وتوقفت منتصفها. هنا بلغ رعبهما قمته واختلت أنفاسهما التي حاولا كبتها تخنقهما أكثر وأكثر.

بعد مضي عدة دقائق من الهدوء ظن الاثنان أن الشيء الذي سمعاه قد خرج فبدآ يشيران بعضهما لبعض بأن يحاولا استراق النظر للتحقق

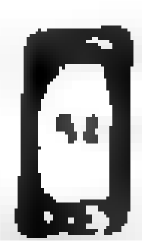

وقبل أن يقوما بذلك سمعا صوت الخطوات يعود ويتضاءل في إشارة إلى أن صاحبها قد خرج من الغرفة.

بالرغم من مضي وقت طويل على خروج ذلك الشيء المجهول إلا أنهما لم يملكا الجرأة على الخروج من الدولاب الخشبي وجلسا وسطه يتهامسان :

(يمنى) : هل سنبقى هنا إلى الأبد؟

(عاصم) : فقط إلى أن تشرق الشمس

(يمنى) : لا أستطيع .. أشعر بالاختناق

(عاصم) : حسناً سوف أفتح درفة الدولاب قليلاً لتهوية المكان

مد (عاصم) يده الراجفة والقابضة على السكين بحذر ودفع الدرفة ولكن نصلها أحدث صريراً حاداً زاد من ارتباكه فتراجع مما دفع (يمنى) لأخذ السكين من يده والتقدم وهو يتابعها بتوتر. فتحت (يمنى) درفة الدولاب بالكامل دفعة واحدة ليتسلل النور للدولاب ما مكنهما من رؤية وسط الغرفة ومشاهدة آثار أقدام حافية مبللة مطبوعة على سجادة حمراء توسطت المكان فقالت : «آثار الأقدام تبدو بشرية ..»

(عاصم) بجزع : وإن كانت بشرية؟ . هذا ليس مدعى
للاطمئنان
همت (يمنى) بالخروج من الدولاب لكن (عاصم) شدها وبه
يخليط من الضغط والقلق : إلى أين؟!
(يمنى) مفلتة منه . ابقَ مكانك! .. سأتفحص الأمر فقط
عندما توسطت المكان ووقفت فوق السجادة الحمراء أشارت بيدها
له للخروج فعمل بحذر متلفتًا حوله : «هل رحل؟»
(يمنى) : لا أعرف لكن لن نبقى هنا أكثر .. سنحاول العودة للسيارة
(عاصم) وعينه على الباب المفتوح : وما الذي غير رأيك؟
(يمنى) : انتابني شعور غير مريح بأن بقاءنا هنا ليس فكرة صائبة
نزل الاثنان السلالم بخطوات بدأت بطيئة لكنها تحولت لهرولة
خفيفة عندما شاهدا باب الخروج المحطم وقبل أن يصلا إليه توقفا
مكانهما عند سماعهما صوت هاتف يرن من بعيد.
(يمنى) من خلف (عاصم) : كنت أظن أن بطارية هاتفك نفدت
(عاصم) يجول بنظره حوله : هذا ليس هاتفي ..

(يمنى) ملتصقة وراءها . من أين يأتي الصوت إذاً

ظل الهاتف بالرنين وكان صوته بعيداً ومكتوماً بعض الشيء مما

أوحى بأنه لم يكن في طابقهما نفسه لذا عادا الاثنان الصعود للطابق

العلوي لتقفي أثر الصوت لكن ما حدث هو أن صوت الهاتف

ضعف وقل وضوحه.

(يمنى): لا أفهم ..

(عاصم) موجهاً نظره للطابق السفلي . أعتقد أني فهمت

جرى (عاصم) نزولاً مرة أخرى و (يمنى) من خلفه تقول : إلى أين؟

ما (عاصم) يبحث في جوانب الدور الأرضي مستعيناً بأذنه حتى

توقف عند زاوية في نهاية المنزل وقال : الصوت هنا أقوى من أي

مكان

(يمنى): لكن لا يوجد شيء هنا

أزال (عاصم) نظره تحت أقدامه وشاهد سجادة سوداء صغيرة

سحبها للوراء كاشفاً عن باب صغير في الأرض الخشبية وقال :

لوجد سرداب ...»

(يمنى) بتوتر شديد : لنخرج فقط من هنا ونعد للسيارة!

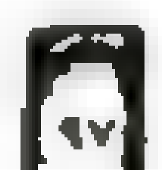

(عاصم) وهو يمد يده محركاً مزلاج الباب لتستمر ... هو ...

سبيل خلاصنا

بعد فتح الباب ظهر لهما سلم يقود للأسفل و... ...

ومحاولات (يمنى) ثني (عاصم) عن التقدم أكثر تردد و...

بعض الأمر لكنه استجمع شجاعته ووضع قدمه على الدرجة الأولى

من السلم بعد تقدمه لمسافة بسيطة توقف الهاتف عن الرنين معه

صوت إغلاق باب السرداب من ورائه بقوة وصرير مزلاج يسحب

مغلقاً القفل

جرى (عاصم) للأعلى بسرعة واحد يطرق بقبضته مقطع ... باب

صارخاً:

«ما الذي يحدث؟! (يمنى)! هل أنت بخير؟!»

لا تصله أي إجابة فتستمر بالطرق والصراخ حتى فقد الأمل وقرر

النزول للأسفل بحثاً عن مخرج آخر. مع تقدمه نزولاً في العتمة

لاحظ (عاصم) أن المكان فاحت منه رائحة مقيتة ومكتومة انها

مخليط من العفن العتيق والبيض النيء ولم تكن الرؤية كافية

لمعرفة مصدر تلك الرائحة المثيرة للتقيؤ أو لتفحص المكان بشكل

كامل فالظلام الحالك يخلو الجدران من النوافذ منعه من ذلك فاكتفى

يتحسس بيده من حوله والتخبط بأقدامه في العتمة حتى وقع على
حبل لامس وجهه فوضع يده عليه وشده مشعلاً مصباح
ضوء أصفر توسط السقف أنار السرداب بشكل من
الضوء الأصفر الذي بسط في الأرجاء عن منظر مريع فقد كان
أشبه بالمسلخ المعد لذبح وسلخ الحيوانات لوجود مجموعة
من الساطير والسكاكين بأشكال وأحجام متنوعة معلقة على أحد
الجدران ومعظمها تلطخ بدماء جافة على أنصالها ومقابضها. في
وسط المكان بجانب الجدار استقرت طاولة خشبية بسطح مشذب
بدقة ومن الواضح أنها طاولة معدة للتقطيع.
فوق الطاولة تتدلى ثلاث سلاسل سميكة منتهية بخطافات حديدية
علق على أحدها عُلقت عليه عظمة كبيرة كعظمة الفخذ التصق بها
بعض قطع اللحم المتعفنة وأسفل منها مجموعة من الأكياس البيضاء
المربوطة ومفتوحة جزئياً.
وقف (ماهر) بفم مفتوح وأطراف ترتجف رهبة من هول ما رآه
وخلال سرحانه بجزع رن الهاتف الثابت المختبئ في ظلمة
إحدى الزوايا مرة أخرى فانقطع سرحانه وسار نحوه بتوجس
وبعد ذلك رفع السماعة بعد عدة رنات وقربها من أذنه ولم يقل شيئاً

ملاذ القاطن

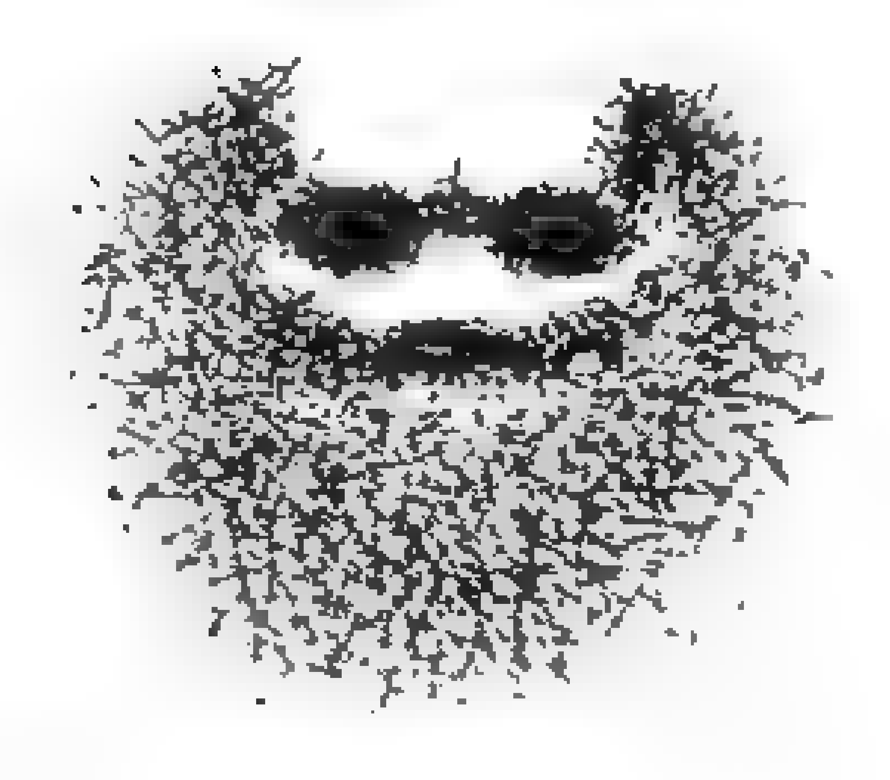

استمر الاثنان بالهرولة والجري بسرعة دون توقف أو حتى الالتفات وراءهما على الرغم من أنه لم يكن هناك أي دليل على ملاحقة ذلك الشيء المخيف لهما. انتهى الهروب عندما ظهر أمامهما فجأة منزل كبير وسط الغابة الكثيفة وبسبب تفاجئهما به تعثرت قدم (عاصم) ووقع على الأرض موقعاً معه (يمنى) التي كان لا يزال قابضاً على

كلاهما في الوقت نفسه نافضين الأتربة

ذلك المنزل الذي بدا مهجوراً فلا إنارة

حوله أو داخله.

(بنى) : أفترض أنه من حقك معرفة السبب قبل أن تلحق بالقية

(عاصم) باستغراب : القية؟

(بنى) : نعم .. ألا ترى الأكياس أمامك؟ .. هؤلاء هم من سبقوك

(عاصم) موجهاً نظره للأكياس : سبقوني لأي شيء؟

(بنى) : هل تذكر القصة التي أخبرتك عنها سابقاً

(عاصم) : أي قصة؟

(بنى) : قصة أخي ..

(عاصم) : الذي شفي وخرج من غيبوبته

(بنى) : نعم هو بعينه .. لقد خرج منها بالفعل لكنه تغير .. أخي تغير .. واستمر بالتغير يوماً بعد يوم .. في البداية لم نفهم سر آلامه وعلته .. عصبيته وعدائيته .. تساقط شعره ونزيف لثته .. [illegible] حتى يفقد وعيه .. لكني لاحقاً فهمت .. [illegible] أخذها من ذراعي وشعر معها بالراحة وهو يمصمصها .. استعاد شيئاً من إنسانيته بعد ما ابتلع [illegible] .. بكى .. بكى بشدة .. ندماً على فعلته .. لكني لم أغضب منه .. كنت سعيدة بعودته بعد كل تلك السنين وظننت

أن الأمر انتهى .. لكن ما لبث حتى عاد نهمه وسيطر عليه مجدداً فأطعمته ..

(عاصم) : أطعمته ماذا؟

(يمنى) : بدأت بالرجل الذي تسبب له بتلك الحالة .. أخذته إليه وتركته ينهشه ويقتات عليه لكن بعدها لم نستطع البقاء في مدينتنا واشتريت هذا المنزل المعزول لأبحث له عن علاج وشفاء .. وإلى أن يحين ذلك الوقت سوف أطعمه كي لا يعاني وأنت ستكون طعامه اليوم ..

(عاصم) : لن تفلتي بفعلتكِ أيتها المعتوهة!

(يمنى) : لقد أفلت بالفعل وقضي الأمر .. هو فقط يحتاج أن يأكل من وقتٍ لآخر ليشعر بالتحسن قليلاً ويعود لي لأحتضنه .. وكذلك كي لا يؤذي أحدًا بشكل عشوائي يقوده للمشكلات .. أنا فقط أساعده في اختيار الطعام الأنسب له .. ولا يوجد أنسب من المسافرين العابرين أمثالك .. وداعاً يا (عاصم) .. ونصيحة أخيرة .. لا تقاومه مثل ما فعل بعضهم .. فذلك يزيد من وحشيته وستتعرض لموت شنيع .. فقط استسلم لمصيرك بهدوء ..

الوجبة الأخيرة

انقطعت (يمنى) الخط تاركة (عاصم) في حالة من الذهول والخوف الشديد دفعته لمحاولة استخدام الهاتف للاتصال بالشرطة لكنه اكتشف أنه مخصص لاستقبال المكالمات فقط فقاده ذلك للاندفاع نحو أكبر ساطور معلق والتسلح به والوقوف وسط المكان متأهباً لأي مفاجأة. لم يحدث شيء لفترة طويلة هدأت فيها أعصابه ليرخي قبضته على مقبض الساطور ويترك نصله بجانب فخذه جائلاً بنظره حوله حتى وقعت عينه على صندوق معدني فوق طاولة التقطيع الخشبية فقام بفتحه ليجد وسطه مجموعة من المحافظ

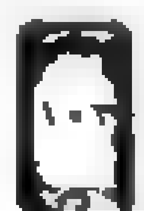

والمفاتيح وبعد القليل من الفحص اكتشف أنها تعود للضحايا السابقين لتعود له حالة التوتر وبدأ قلبه بالخفقان بشكل متسارع

التفت خلفه بسرعة وشد على مقبض الساطور عندما سمع باب القبو يُفتح تبعه صرير السلالم الخشبية جراء خطوات ثقيلة وطئته وسارت فوقه ببطء. اتضحت معالم تلك الأقدام ذات الأظافر المتسخة والمتشققة والسيقان المشعرة فبدأ جسده يرتعش وأنفاسه تضيق لكنه تمالك وسحب ساطوراً آخر من ورائه ووقف رافعاً نصليهما أمامه مستعداً لمواجهة القادم نحوه. ظهرت معالم ذلك المسخ المخيف وقد كان نفسه الرجل الذي شاهده على قارعة الطريق وتعقبه عند اللحظة لكنه عارٍ وظهره منتفخ وعيناه حمراوان كالدم وفمه الفاقد لبعض الأسنان مفتوح وغارق باللعاب وسالت من جوانبه رغوة بيضاء. شعره بدا مبللاً أو مشبعًا بالزيت ومناخير أنفه سال منها مخاط ممزوج بالدم وكان يصدر صوت أنين غليظ وكأنه يتألم.

لم ينتظر (عاصي) لحظة هجوم ذلك المسخ المشوه عليه وباغته مندفعاً نحوه لكنه تلقى ضربة خاطفة وسريعة على وجهه أسقطته هو وساطوريه أرضاً. بعدما زفر نفساً عميقاً أخذه بدأ بالزحف على

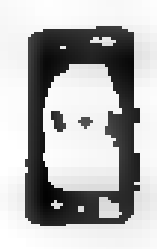

بهِ نحو بقية السكاكين المعلقة ليتسلح بها لكنه لم يلحق لأنه أحس بذلك المسخ ينقض فوق ظهره غارساً أسنانه في رقبته منتزعاً قطعة كبيرة من لحمه دفعته للصراخ بصوت عالٍ مشبع بالألم. بقي المسخ يمضغ قطعة اللحم باستمتاع ممتطياً ظهر (عاصم) الذي لم يستسلم واستغل فرصة انشغاله بالأكل ونهض بسرعة مفاجئة ورفع المشوه عالياً وحذفه به للوراء وجرى نحو أقرب سكين معلقة وقبض عليها واستدار في الحال ليواجهه لكنه تفاجأ بأن المسخ قد وقع على أحد المعاليق وانغرس خطافها في ظهره.

بقي المسخ معلقاً يصرخ ويلوح بيديه محاولاً الوصول لـ (عاصم) الذي وقف يراقبه مصدوماً حتى أدرك أنها فرصته للهرب فهرول متوجهاً للسلالم لكنه توقف قبل صعوده متزلاً رأسه متفكراً في احتمالية نجاة ذلك المشوه فعاد ووقف أمامه رافعاً السكين الكبيرة بنية طعنه.

لم يلحق على قتله لأن (عاصم) سقط على وجهه قبل أن يوجه طعنته بعدما قامت (يمنى) بغرس السكين التي كانت بحوزتها سابقاً في كتفه. لم يفقد وعيه لكنه لم يستطع الوقوف فوراً وعيناه أصيبتا بزغللة شديدة جراء فقدانه كثيراً من الدم منعته من رؤية أي تفاصيل في

المكان هنا حيال (يمنى) تحاول تحرير أخيها وهي تصرخ وتبكي

مسح (عاصم) مكان قطعة بيده واكتشف أنه أصيب بجرح غائر عندما شاهد يده حوله بالكامل. هز رأسه عدة مرات لاستعادة تركيزه وما إن تمكن من ذلك حتى نهض وجرى نحو السلالم صعوداً. تنبهت (يمنى) له ولحقت به مسرعة وقبل أن يخرج من فتحة باب السرداب أمسكت قدمه وسحبتها مما تسبب بسقوطه على وجهه وتحطم أسنانه الأمامية على إحدى العتبات وسقوط السكين من يده أيضاً.

تسطر شعرها وجسده بالكامل ينبض ألماً وهو يكاد يفقد وعيه لكنه تمالك نفسه وانتفض عندما شاهد (يمنى) تقف فوقه ممسكة مقبض السكينة الكبيرة بكلتا يديها رافعة قمة نصلها فوق رأسها وبوجه جنوني ساخط تقول:

«سيكون ضحكك لنهايتنا وأنت مرعوب هكذا قبل موتك!؟»

رفع (عاصم) قدمه وثنى ركبته وقال قبل أن يوجه رفسة قوية لبطنها:

«كنت أظنك نبيلة!»

تدحرجت (يمنى) من فوق السلالم واستقرت على أرضية السرداب..

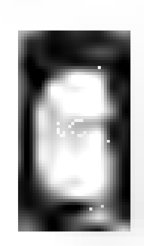

راجع (عاصم) الوقت وخرج في الحال وأغلق المزلاج خلفه
ومضى بالسير مترنحاً نحو باب الخروج ومن خلفه كان يستطيع سماع
صوت صرخات وطرقات (يمنى) الغاضبة على باب السرداب.

لم يتوقف عن السير في الغابة التي أسمرت بضوء الفجر الخافت حتى
وصل للسيارة وركبها لكنه تذكر أن المفاتيح لا تزال معها فضرب
المقود بقبضته غاضباً. طرأت على باله فكرة في لحظتها ومد يده
وكبس زر فتح الصندوق الخلفي مخرجاً منه جالون البنزين ليعود
أدراجه للمنزل وعند وصوله كان لا يزال يسمع صرخات (يمنى)
المكتومة الخافتة قادمة من الداخل.

أزال الغطاء من الجالون وبدأ يسكب محتواه فوق عتبة الباب وعلى
الجدران الخشبية حوله حتى أفرغه بالكامل ثم أخرج علبة السجائر
من جيبه وأشعل سيجارة بولاعته التي رماها على العتبة المشبعة
بالبنزين لتقفز النار متوهجة وتبدأ بالتهام المنزل.

تراجع (عاصم) بضع خطوات للوراء وهو يتأمل النار المتصاعدة وهي
تلتهم المنزل خلال تدخينه للسيجارة وسماعه لصرخات (يمنى)
الخافتة تتحول لصيحات استنجاد. بعد دقائق قليلة انقطع صوتها
وتحول المكان لشعلة ضخمة من اللهب الأحمر فقرر وقتها الرحيل

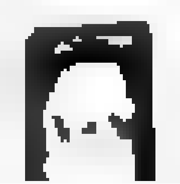

من المكان لكن مع ارتفاع ألسنة اللهب وسقوط بعض أحراش انكشف له مخبأ آثار اتباعه في الفضاء الخلفي للمرت

شاهد لمعاناً منعكساً من على مايشبه الزجاج عرض بعض الشجيرة أرضاً وسار نحوه واقترب منه بحذر ليرى مجموعة سيارات مركونة كان من ضمنها سيارته وعندما تفحص مقابض بعضها وجد أن غير مقفلة ومفاتيحها بالداخل فوقع اختياره على أكثر سيارة مملوءة بالوقود وركبها وأدار محركها لأن الوقود في سيارته لم يكن كافياً لإعرابه وإيصاله مسافة كافية.

بعد سير قصير على أرض وعرة وصل لبداية خط سريع معبد فخفض السرعة وسلكه في الحال مبتعداً قدر الإمكان عن المنطقة بعد نصف ساعة تقريباً أقبل (عاصم) على نقطة تفتيش تتكون من شرطيين جسم وشعر بالراحة والاطمئنان لأن جرح كتفه كان لا يزال ينزف بغزارة وشعوره بالدوخة تحول لغثيان ورغبة بالتقيؤ وكان بحاجة ملحة لعناية طبية مستعجلة.

توقف (عاصم) عند النقطة منزلاً النافذة بوجه متورم نازف لكن مبتسم وقال: «الحمد لله أني وجدتكم ..»

نظر الشرطي له بخليط من التعجب والحذر وقال: ما بك؟

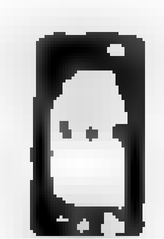

(عاصم) زافراً: حكاية طويلة سأكون مسروراً بروايتها لكم لاحقاً
لكن تحتاج للإسعاف في الحال
(الشرطي) موجهاً نظره بريبة لمؤخرة السيارة: «افتح الصندوق..»
(عاصم) غير مستوعب ما يحدث: ما.. ماذا؟!
جاء شرطي آخر وشاركهما الحوار وقال لزميله: «هل هناك مشكلة؟»
- نعم.. إنه يرفض فتح صندوق السيارة
(عاصم) بارتباك ضاغطاً على زر فتح الصندوق: لا لا أبداً تفضل
سار الشرطي لمؤخرة السيارة بينما طلب الآخر من (عاصم) إطفاء المحرك والترجل منها..
(عاصم): لكنا لا افهم ما الذي اقترفته؟
فتح الشرطي الباب ثم شهر مسدسه بوجه (عاصم) وصرخ فيه:
«انزل على ركبتيك وارفع يديك للأعلى حالاً!»
نفذ (عاصم) أوامر الشرطي وهو في حالة من الخوف والاستغراب..
وضع الشرطي الأصفاد الحديدية على سواعده ووجه نظره لزميله
مشيراً له بالموافقة فأعاد نظره لـ (عاصم) وقال: «هل هذه
سيارتك..؟!»

(عاصم) بارتباك : لا ..

- سرقتها إذًا

(عاصم) بتوتر شديد : لا لم أسرقها! .. استعرتها فقط!

- آها استعرتها .. وهل هذه الدماء الملطخة على ملابسك من الشخص الذي استعرتها منه؟

(عاصم) : لِمَ تسارعان بالاستنتاج! .. دعوني أشرح لكما!

رفع الشرطي (عاصم) وأوقفه قائلاً : كنت أظنك تريد الشرح لنا لاحقاً!

(عاصم) وهو يكاد ينهار : صدقاني أنكما ترتكبان خطأً جسيماً!

- كنا نعرف أننا سنتال منك يوماً ما لكن لم يخطر ببالنا أنك ستأتي إلينا بأفعالك وتسلم نفسك بنفسك

(عاصم) : عن ماذا تتحدث؟!

أجاب الشرطي الآخر بعد ما أخرج كيساً بلاستيكياً أبيضَ ملوثاً بالدماء من صندوق السيارة ورفعه للأعلى قائلاً :

أتحدث عن جرائمك التي ارتكبتها طيلة الأشهر الماضية وكنت

لكن صوتاً حدثه .. صوت (يمنى) وهي تقول بنبرة هادئة :

«كيف وجدت المكان؟»

(عاصم) وهو مصدوم : (يمنى)؟! .. أين أنتِ؟! .. هل أصابكِ مكروه؟!

(يمنى) بتهكم : ألم تفهم بعد؟

(عاصم) : من أين تتحدثين؟ .. وكيف؟

(يمنى) بتململ : تـ.. أيجب عليّ أن أشرح لك كل شيء؟ .. أحدثك من هاتفي للحصول يا أحمق..

(عاصم) : لكنكِ قلتِ بأنكِ لا تملكـ..

(يمنى) بضجر : هل حقاً أنت بهذا الغباء؟ .. كنت أظنك تتظاهر لكن فيما يبدو أنك سـاذج بالفعل

(عاصم) : بالفعل كنت أحمق لأني وثقت بكِ ..

(يمنى) ضاحكة : لا تلم نفسك كثيراً .. لست الأول ولا الأخير

(عاصم) : لكن لماذا؟

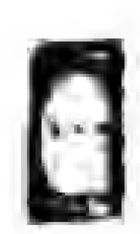

(منى) : أفترض أنه من حقك معرفة السبب قبل أن تلحق بالبقية

(عاصم) باستغراب : البقية؟

(منى) : نعم .. ألا ترى الأكياس أمامك؟ .. هؤلاء هم من سبقوك

(عاصم) موجهاً نظره للأكياس : سبقوني لأي شيء؟

(منى) : هل تذكر القصة التي أخبرتك عنها سابقاً

(عاصم) : أي قصة؟

(منى) : قصة أخي ..

(عاصم) : الذي شفي وخرج من غيبوبته

(منى) : نعم هو بعينه .. لقد خرج منها بالفعل لكنه تغير .. أخي تغير .. واستمر بالتغير يوماً بعد يوم .. في البداية لم نفهم سر أله وسلته .. عصبيته وعدائيته .. تساقط شعره ونزيف لثته .. ضربه برأسه في الحائط حتى يفقد وعيه .. لكنني لاحقاً فهمت .. فهمت مع أول قضمة أخذها من ذراعي وشعر معها بالراحة وهو يمضغ الكتلة التي قضمها .. استعاد شيئاً من إنسانيته بعد ما ابتلع طعم المضرج .. بكى .. بكى بشدة .. ندماً على فعلته .. لكنني لم أغضب منه .. كنت سعيدة بعودته بعد كل تلك السنين وظننت

ستخدم هذه السيارة السوداء المنزوعة اللوحات لتهرب بها ..»
حاول (عاصم) شرح وتبرير موقفه لكن الشرطيين لم يستمعا إليه
ورمايه في المقعد الخلفي لإحدى الدوريتين وأغلقا الباب خلفه
يتوجه أحدهما للدورية الأخرى ويمد يده من النافذة مخرجاً سماعة
جهاز النداء ويقربه من فمه ضاغطاً بإبهامه على جانبه قائلاً :
لقد قبضنا أخيراً على السفاح الملقب بـ ((جحيم العابرين)) ..
نحتاج دعماً لمصادرة السيارة المستخدمة في جرائمه .. حول.